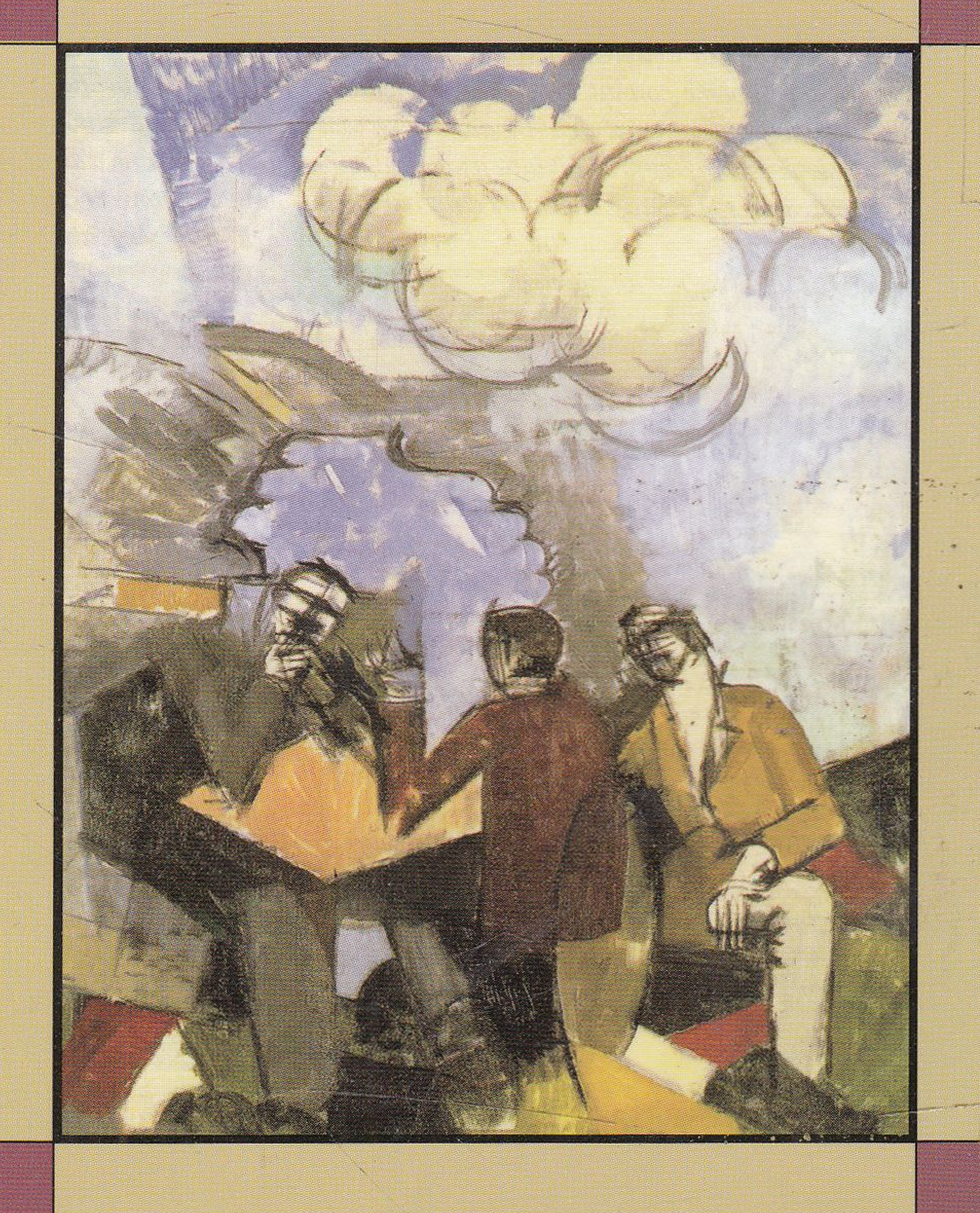
ذ. حسن رقيق

كيف تحافظ على علاقاتك الأخوية

سلسلة رسائل المحبة



2

أفريقيا الشرق

كيف تحافظ
على علاقاتك الأخوية

إعداد : ذ. حسن رقيق
عنوان الكتاب : **كيف تحافظ على علاقاتك الأخوية**
رقم الإيداع القانوني : 2009/0566
ردمك : 978-9981-25-645-5
أفريقيا الشرق - المغرب
159 مكرر ، شارع يعقوب المنصور - الدار البيضاء
• المطبعة :
الهاتف : 40 95 25 022 / 13 98 25 022 الفاكس : 20 29 25 022
• النشر والتصفيف :
الهاتف : 53 67 29 022 / 54 67 29 022 الفاكس : 72 38 48 022
البريد الإلكتروني : E.mail : africorient@yahoo.fr

ذ. حسن رقيق

سلسلة رسائل المحبة

كيف تحافظ على علاقاتك الأخوية

أفريقيا الشرق

من الهدي القرآني

﴿إنما المؤمنون إخوة﴾

سورة الحجرات، الآية : 10

من الإرشاد النبوي :

"الأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف"

رواه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

إهداء

إلى إخواني وأخواتي في كل زمان ومكان ....

إلى من أتقرب بحبهم إلى الله ...

إلى المتحابين بروحه ...

إلى من استعملهم سبحانه فيما يرضيه ويعزُّ أمة حبيبه صلى الله عليه وسلم....

إلى من يُنادَون يوم القيامة من قِبل الله :

"أين المتحابون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظلّ إلا ظلّي ..."

إليكم أهدي هذا الكتاب راجيا حُسن الرُّجعى والإياب، ولذّة النظر إلى وجه الملك الوهاب. آمين .

توطئة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على سيد الأولين والآخرين، وعلى آله وصحبه الأكرمين، وإخوانه السابقين واللاحقين إلى يوم الدين، وعلينا معهم يا رب آمين.

وبعد، أحدثكم إخواني الأفاضل، أخواتي الفُضليات من خلال ثنايا هذه الصفحات عن أسمى العلاقات بين الناس. أحدثكم بحول الله مع قوته عن الأخوة في الله عز وجل.

أُخُوَّةٌ بها امتنَّ سبحانه وذكَّر:

﴿واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا﴾

سورة آل عمران، الآية 103.

وقال عـزَّ من قائل :

﴿وألَّف* بين قلوبهم، لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألَّفت بين قلوبهم، ولكن الله ألَّف بينهم. إنه عزيز حكيم﴾.

سورة الأنفال، الآية 64.

أُخُوَّةٌ جعلها الله سِمَة المؤمنين في الدنيا والآخرة فقال :

﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ سورة الحجرات، الآية 10

وقال سبحانه :

ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ إخوانا على سرر متقابلين سورة الحجر، الآية 47.

أُخُوَّةٌ قائمة على الحبّ في الله، ومعنى الحب في الله هو أن تحبَّ المرء لا لذاته — إذ لا يحَبُّ لذاته إلا الله عز وجل — بل تحبُّه لما فيه من صفات

* أَلَّفَ : رَبَطَ بينَ القلوب برباط قوي، جمع، وصل، كمَّل.

يحبها خالقه جل وعلا. أخبر حبيبه صلى الله عليه وسلم فقال :

" أَوْثَقُ عرى* الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله، والحب في الله والبغض في الله[1] ."

أخوة سامية قَرَّب أهلها وأحبَّهم لمّاً تقرَّبوا إليه بالتحاب فيه عز وجل. قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه في الحديث القدسي :

"حقَّت محبَّتي للمتحابِّين في ، وحقت محبتي للمتواصلين في، وحقت محبتي للمتناصحين في ، و حقت محبتي للمتزاورين في، و حقت محبتي للمتباذلين* في . المتحابون في على منابر من نور يغبطُهم* بمكانهم النَّبيُّون والصديقون والشهداء "[2] .

---

1 - أخرجه الإمام الطبراني رحمه الله في المعجم الكبير رقم 11537 من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، والإمام البغوي رحمه الله في شرح السنة (53/13).

2 - رواه الأئمة أحمد وابن حبّان والحاكم والقضاعي رحمهم الله عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

*عُرَى الإيمان : روابط الإيمان.

*للمتباذلين : من البذل أي العطاء والسخاء والكرم.

*يغبطُهُم : يَتَمنَّى لو كان مثلهم.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه "أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أن رجلا زار أخاً له في قرية أخرى فأَرْصد* الله على مَدرجته* مَلَكاً. فلما أتى عليه،

قـال : أين تريد؟

قال : أريد أخا لي في هذه القرية.

قال : هل لك عليه من نعمة تَربُّها*؟

قال : لا، غير أني أحببته في الله عز وجل.

قال : فإني رسول الله إليك بأن الله قد أحبك كما أحببته فيه[3]."

وإذا ما أحبك مولاك عزَّ وجل حاطتك عنايته وشمِلك تأييده فتحبُّك لحبِّه ملائكتُه وأهلُ سمائه وأرضه.

---

3 -أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه.

* مدرجَته : طريقه
* فأرصد : أعدَّ له
* تَربُّها : تقوم بإصلاحها وتنهض إليه بسبب ذلك

قال صلى الله عليه وسلم :

"إذا أحب الله العبد نادى جبريلَ : إن الله يحب فلانا فأَحِبُّوه، فيحبُّه أهل السماء، ثم يوضع له القَبول* في الأرض»[4].

ولذلك لما مرَّ عمر بن عبد العزيز وهو على الموسم (أي كان أميرا على الحج تلك السنة) وقام الناس ينظرون إليه قال سهيل بن أبي صالح لأبيه: **"ياأبت ! إني أرى الله يحب عمر بن عبد العزيز.**

قال : وما ذاك ؟ قلت : لماله من الحب في قلوب الناس.» [5]

أُخُوَّةٌ في الله لا تعرف حدود القطر واللغة، ولا تستقيم مع الانتماءات الجزئية، بل أخوة تسلك جميع المؤمنين على وجه الأرض في مسلك الذين أنعم الله عليهم فأعطاهم منابر النور والمكان المغبوط

---

4 - رواه الإمام البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه.

5 - رواه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه.

* القبول : الرضى

عليه. أخبر بذلك الصادق المصدوق صلوات ربّي وسلامه عليه بقوله :

"إن من عباد الله أناسا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى.

قالوا : يا رسول الله، تخبرنا من هم ؟

قال : هم قوم تحابُّوا بروح الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها. فو الله إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور. لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس" [6]

وقرأ هذه الآية :

﴿ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾. سورة يونس، الآية 62.

أُخُوَّةٌ شأنُها عظيم وقدرها جليل، أوصى خيرُ البرية صلى الله عليه وسلم صِهرَه عليًّا كرَّم الله وجهه، وأمته بالتَّبَعِية بعده فقال :

---

6 – أخرجه الإمام أبو داود رحمه الله في سننه، كتاب الإجازة، باب في الرهن، والحديث صححه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب.

"يا علي، اِستكثِر من المعارف من المؤمنين، فكم من معرفة في الدنيا بركة في الآخرة ". [7]

أوصاه بالاستكثار والاستزادة من معرفتهم حتّى تعلُوَ درجتهم ويَعظُم أجرهم ويُرفع في الدار الآخرة مقامُهم. هناك ينادَون من قِبل الله تعالى :
"أين المتحابون بجلالي، اليوم أُظِلُّهم في ظلي يوم لا ظِلَّ إلا ظلي " [8].

هناك في ذلك اليوم الرهيب

﴿يومَ تَذهَلُ* كلُّ مرضعة عما أرضعت، وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد﴾ سورة الحج، الآيتان 1 - 2

7-أخرجه الإمام الطبراني رحمه الله في الكبير، والإمام أبو نعيم رحمه الله في الحلية عن أنس رضي الله عنه .

8 - أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه ،كتاب البر والآداب، فضل الحب في الله.

* تذهلُ : من ذُهِل أي غاب عن رشده.

في ذلك اليوم حيث الناسُ في حرٍّ شمس أليم، يومها يحظَون* بنداء عُلوي كريم ويسعدون بظل عرش مقيم. أخبر الحبيب صلى الله عليه وسلم أن من بين السبعة الذي يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله :

”رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وافترقا عليه“ [9]

ولعل هذا ماحدا بالفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يجعل من بين دواعي رغبته البقاءَ في الدنيا مجالسةُ أقوام ينتقون أطايب الكلام كما ينتقي آكلُ التمر أطايبه*. أخبر رضي الله عنه ونصح قائلا: **”ما أعطي عبد بعد الإسلام خيرا من أخ صالح، فإذا رأى أحدكم وُدًّا* من أخيه فليتمسَّك به“.**

---

9 - جزء من حديث أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين.

* يحظَون : يحصلون على ما يُفرِحُ قُلوبَهم.

* أطايبه : أحسنه

* وُدًّا : حبًّا

أُخُوَّةٌ في الله هي بحق ميثاق* غليظ ورباط في الله وثيق نال من الصادق المصدوق ﷺ الرعاية الفائقة والعناية الخاصة وهو يضع أُولى لَبِنَاتِ* مجتمع العمران الأخوي في المدينة المنورة، فكان أن آخى بين الأنصار وإخوانهم المهاجرين رضي الله عنهم وعن آل البيت والأزواج الطيبين الطاهرين .

كان هذا غيضا* من فيض* فضائل المحبة وثمرات الأخوة في الله تعالى، وإن المرء مهما أوتي من فصاحة اللسان وجودة البيان* ليقفُ عاجزا عن أن يصفها أو يُوفّيَها حقها.

غير أن السؤال الكبير الذي يطرح نفسه بإلحاح هو : إذا كانت هذه الأخوة في الله بهذه القيمة السامقة* والمرتبة السامية، فما هي ياتُرى الوسائل الكفيلة لرعايتها وتعزيز صرحها*، وصونها عن الخراب المُحدِق بها؟

---

* الميثاق : العهد الغليظ
* لبنات : اللبنة المضروب من الطين للبناء
* غَيْضاً مِنْ فَيْضٍ : بعْضا من كثير
* السامقة: العالية الشاهقة
* تعزيز صرحها : البناء المتماسك

هذا ما تحاول رسالتي ملامسته والإحاطة به من خلال تلمُّس بعض المفسدات التي تعكِّر* صفوها وتشوِّش على أهلها.

عرفت الشر لا للشرِّ ولكن لِتوقِّيه*

ومن لا يعرف الخيرَ من الشر يقع فيه

منهجية نستلهمها من الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، صحابي خبير بالفتن* والفتانين ووارث سر نبينا الأمين صلى الله عليه وسلم. كان رضي الله عنه وأرضاه أشد حرصا على معرفة الشر وأهله وأبوابه ومداخله ليكون منه على حذر فقال : "كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني». [10].

10 - أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه ، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام. وأخرجه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال ،وتحريم الخروج على الطاعة ومفارقة الجماعة.

* تعكِّرُ : تُفسِد

* لتوقِّيه :لتجنّبه

* الفِتَنِ : ج. فِتْنة، ومن معانيها الابتلاء والمحنة.

غير أني لست مدّعيا في هذه العجالة الإحاطة بالمفسدات جميعها، لذا سأقتصر على ذكر بعضها. والله المستعان وعليه التكلان*...

وتجدر الإشارة إلى أن موضوع الرسالة وإن كان موجَّها الى من تربطهم عروة* الأخوة في الله تعالى، إلا أن ما تحمل بين طياتها ينسحب ويُعمَّم على باقي العلاقات الإنسانية مثل العلاقة بين الزوجين، بين الأصدقاء، بين ذوي الرحم*، بين زملاء العمل وهكذا دواليك*.

---

* التكلان : التوكّل والاعتماد.
* عروة : آصرة ورابطة.
* ذوي الرحم : من تربطهم رابطة النسب والدم
* هكذا دواليك: تَباعَيْك

المفسدة الأولى :

عدم الإفصاح عن الحب

يعتبر الحب حاجة عاطفية لا مِراء فيها ولا جدال حولها، ودون إشباعها وتنمية رصيدها وسائل نذكر من بينها أن تعبِّر وتُفْصِح* عن حبك لمن تحب، تخبره بعد أن تتأكد أنها محبة في الله خالصة لا مجرد إعجاب طارئ أو عاطفة ثائرة. تخبره عملا بوصية حبيبك صلى الله عليه وسلم. عن المقدام بن معدي كرب أنه صلى الله عليه وسلم قال :

"إذا أحبَّ الرَّجل أخاه فليخبره أنه يحبُّه لله".[11]

---

11 - أخرجه الإمام أبو داود رحمه الله في سننه ،كتاب الأدب،باب إخبار الرجل بمحبته إياه. وأخرجه الإمام الترمذي رحمه الله في سننه،كتاب الزهد، باب ما جاء في إعلام الحب .قال الشيخ الألباني رحمه الله : صحيح

* تُفْصِحُ عنْ حُبّكَ : تَبُوحُ بحُبّك وتُصَرّح به.

ولقد كان المحبوب صلوات ربي وسلامه عليه حريصا على أن يتبادل أصحابه رضي الله عنهم العواطف والمشاعر والأحاسيس، وفي ذلك تعليم لأمّته من بعده . لنتدبّر* هذا الحدث العجيب الذي جرت فصوله في حضرته الحبيب صلى الله عليه وسلم . عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال :

"كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ مرَّ رجل، فقال رجل من القوم : يا رسول الله إني لأحب هذا الرجل.

قال صلى الله عليه وسلم : **هل أعْلَمْتَهُ* ذاك؟**

قال : لا

فقال صلى الله عليه وسلم : "**قُمْ فأعْلِمْه**".

فقام إليه فقال : "يا هذا، والله إني لأحبُّك".

قال : "أحبَّك الذي أحببتني له" .

---

*لنتدبّر : لِنتأمَّل.

* أعْلَمْتَهُ : أخبَرْتَهُ.

ولك أن تتصور سعادة هذا الصحابي الجليل حين سماعه دعاء أخيه "أَحبَّك الذي أحببتني له!" [12]

وقال صلى الله عليه وسلم مرة لمعاذ بن جبل رضي الله عنه :

"**يا معاذ، والله إني لأحبُّك**". [13]

وعلى هذا المنوال نسج* التابعي إدريس الخولاني رحمه الله فقال للصحابي نفسه رضي الله عنه بعدما سلَّم عليه : إني أحبك في الله .

فسأله معاذ: آالله؟

فقال أبو إدريس : آالله.

فقال معاذ : آالله؟

قال أبو ادريس : آالله. فقال معاذ : آالله؟

قال : آالله (يعني، والله إني أحبك في الله)

---

12 - أخرجه الإمام ابن حبان رحمه الله في صحيحه.قال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن لغيره .

13 - أخرجه الإمام أبوداود رحمه الله في سننه،كتاب الصلاة، باب في الاستغفار، وأخرجه الإمام الترمذي رحمه الله في سننه،كتاب السهو، باب نوع آخر من الدعاء، قال الإمام النووي رحمه الله في الخلاصة : إسناده صحيح .

* نسجَ : حَاكَ يحيك، نظم.

قال : فجذبني إليه

وقال : أَبْشِر، فإني سمعت رسول الله ﷺ

يقول: قال الله عز وجل :

"وجبت محبتي للمتحابين في والمتجالسين في والمتزاورين في والمتباذلين في ... ".[14]

ولنتأمل قصة ثوبان الذي كان شديد الحب للنبي العدنان صلى الله عليه وسلم، لنتأمل كيف صرَّح وأفصح عن عاطفته الجياشة تِجاه محبوبه الأكرم صلى الله عليه وسلم ، قال رضي الله عنه: **"يارسول الله إنك لأَحَبُّ إليَّ من نفسي، وإنك لأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك، فما أَصبِرُ حتى آتي فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيئين، وأني إذا دخلتها خشيت ألا أراك! "**[15]

---

14 - أخرجه الأئمة أحمد والترمذي ومالك وغيرهم رحمهم الله.

15 - انظر رسالتنا : طريق الوصول إلى حب الرسول صلى الله عليه وسلم، الطبعة الثالثة، الصفحات 49- 50 - 51

ما دار بخلَده* ولا جال* في خاطره أن المحبَّة مجرد قيام بالحقوق وأداء للواجبات فحسب، فذاك ينتهي بانتهاء التَّكليف في الدُّنيا. بل لقد شغل قلبَ الرجل عدمُ رؤية وجه مصحوبه الأعظم صلى الله عليه وسلم ولو ضَمِن الجنة ونعيمها!

ولِلَّه دَرُّ من قال :

ومن عجبٍ أني أحِنُّ إليهم
وأسأل عنهم من لقيتُ وهم معي

وتطلبهم عيني وهم في سوادها
ويشتاقهم قلبي وهم بين أضلعي

ورضي الله عن ابن مسعود حيث قال : "لو أن رجلا قام يعبد الله بين الركن والمقام (أي في الكعبة المشرَّفة) سبعين عاما لحشر* يوم القيامة مع من يحب".

* بخلَدِهِ : الخلد : البال والقلب
* جالَ : طاف.
* حُشِرَ معهُ : أيْ كَانَ في معيَّتِهِ.

فإذا ما أحببت أحدا في الله عز وجل فلا تكتم شعورك نحوه، بل أخبره وأعلمه وأفصح له أنك تحبه، أخبره وأعلمه وأفصح له بالعبارة أو بالإشارة أو بأي أسلوب يَفِي بالمقصود. أخبره وأعلمه وأفصح له عسى أن يجد في قلبك واحة حبٍّ وصفاء في عصر طغت فيه الكراهية والجفاء.

لاتكن بلسانك عليه شحيحا* بل اُبذله في التودُّدِ إليه في حضرته وغَيبته، اُذكر محاسنه ومحامده عند غيره، أبلغه ثناء من أثنى عليه مع إظهار فرحك لذلك وإلا فإن إخفاءه محض الحسد.

اُشكرهُ على بذله وعطائه، أبلغه التقدير والإعجاب والثناء إذا ما أعجبك منه خصلة حميدة أو مبادرة نافعة ، فذاك أدعى لنمو المحبة وتحفيزا لمزيد الإبداع والبذل والعطاء.

تُرى ما بال أحدنا يُبدع في استكشاف خطإ أخيه ليَذمَّه* به ، ثم هويُخْفِقُ* في رؤية الخير الذي

---

* شَحيحا : بَخيلاً | * يَذُمَّهُ : يُشِينُهُ | * يَخفقُ : أخفق : فشل ورسب

عنده حتى لا يمدحه به ، والأدهى من ذلك حين يتلذذُ إن ظفَر بسماع ما يسيء إليه !

صمٌّ* إذا سمعوا خيرا ذُكرتُ به

إن ذُكرتُ بشرٌّ عندهم أذن* !

أُنظر حبيبك صلى الله عليه وسلم وهو يمدح الأشج بن قيس قائلا :

"إن فيك خِصْلتين يحبُّها الله تعالى، الحِلْم والأناة"[16].

وتأمّل ثناءه على بعض أصحابه قائلا :

"أَرحم أمَّتي بأمتي أبو بكر، وأشدُّهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان ، وأقرؤهم لكتاب الله أُبَي بن كعب، وأَعْلَمهم بالحلال والحرام مُعَاذ بن جبل. ألا وإن لكل أمة أمينا، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح".[17]

---

16 - رواه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه عن ابن عباس رضي الله عنهما

17- رواه الإمام الترمذي رحمه الله في سننه عن أنس بن مالك رضي الله عنه بسند حسن صحيح.

* الحِلْمُ والأَنَاةُ : من معاني الصبر والتحمل والرَّزانة والتريث.
* صُمٌّ : كِنايةٌ عن رفْضِ سَماعِ المدح
* أذنٌ : كِنايةٌ عن تَمَامِ السَّماعِ.

والتفت صلى الله وعليه سلم مرة إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه، التفت إليه ووضع يده عليه قائلا :

"لو كان الإيمان عند الثُّريا* لناله رجال من هؤلاء "! [18]

ثم لنتدبر مقالَه لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه بعدما استمع إليه وهو يترنَّم* ليلا بالقرآن الكريم ويتغنىَّ ، فتأثر صلى الله وعليه سلم لجمال صوته وحُسْنِ تلاوتِه وأدائه، وفي الصباح أثنى عليه بقوله :

"لو رأيتني البارحة وأنا أستمع لقراءتك، لقد أوتيت مزمارا من مزامير آل داودا "!

ثناءٌ ابتهج له أبو موسى وطار فرحا مما دفعه أن يقول : **"لو علمت أنك تستمع لقراءتي لحبَّرتهـ* لك تحبيرا ."** [19]

---

18 – متفق عليه

19 – رواه الإمام الحاكم رحمه الله بهذا اللفظ وأصله في الصحيحين

* الثريا : مجموع كواكب في عنق النور، وقيل منارة عديدة الأنوار تعلق في البيوت.

* يترنَّم : يتغَنّى ، ينشِدُ.

* حَبَّرْتُهَا تحبيراً : حسَّنتها وزيَّنتها

أخي أنت لي دفقة* من حنان

أخي أنت لي نسمة من أمان

وآمالُ قلبي ومِشعل دربي

وأنت ضياء المدى والزمان

قرأتُ بوجهك معنى الحياة

ومعنى القيامة بعد الممات

أبيات للشاعر سليم عبد القادر

* دَفْقَة : صَبَّة

المفسدة الثانية

عدم الاهتمام بالمشاكل

إن الحب ليس شعارا برَّاقا للاستهلاك ولا دعوى فارغة باللسان تُلاك*. لا معنى له إن كنت لا تشعر إلا ما يلمس وجودك الخاص غير مبال بما يصيب غيرك في سبيل تحقيق أغراضك الذاتية ومنافعك الشخصية. لا معنى له إن كنت خِلوًا من الإحساس بالألم الذي يَحُزُّ* في كبد من سواك ولا يتغلغل نظرك إلى أعماق البؤس الذي يكتوي بلَظاهُ* من حولَك . لا معنى له إن كنت بمنأًى* عن التفكير إلا في خُوَيصَة* نفسك فقط .

---

* تُلاكُ : لاكَ يَلُوكُ اللَّبانَ : يمْضَغُهُ
* يحز : يؤلم ويترك أثرا عميقا في نفسي
* بلظاه : اللَّظَى، اللَّهيب.
* خُوَيصَة : تصغير لخاصَّة.

إن لكل إنسان في هذه الحياة حاجات يودُّ قضاءها ومصالح يتمنى نجاحها ومطالب يرجو نوالها*.

والناس من بَدوٍ ومن حَضرٍ بعض
لبعضٍ وإن لَمْ يشعُروا خَدمُ

فأن تخبر من تحبُّ وتفصح و تعبِّر له عن الحب الكامن* في قلبك تجاهه فهذا أمر مطلوب كما سلف الذكر في المحور السابق . غير أن كلمة أحبك تظلُّ فارغة إن لم يكن عِمارتها البْذلُ* والعطاء والوقوف الساهر عند الشدة والحاجة.

ولا بد من شكوى لذي مروءة
يُسلِّيك أو يواسيك أو يتوجَّعُ

أجل، إن للحب مقتضيات وواجبات وتبِعات*، أدناها أن تقوم بخدمة أخيك وقضاء حاجته عند

---

* نوالها : الظَّفَرَ بها
* الكامن : الراسخ
* البذل : العَطاء، السَّخاءُ.
*تبعات : ما يترتب على الفعل من الخير والشر

السؤال، وأوسطها أن تقوم بذلك من غير سؤال، وأعلاها أن تقدم حاجاته على حاجات نفسك، وهذا مقام الإيثار* الذي وصف به العزيز الغفَّار أصحابَ نبيه المختار صلى الله عليه وسلم بقوله عز من قائل :

﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة*﴾ سورة الحشر، الاية 9 .

إيثَارٌ باعِثُهُ المحبة القلبية، إيثار سبقته محبة خالصة فكان نتيجة لها، قال المولى جل جلاله في السورة نفسها :

﴿يحبون من هاجر إليهم﴾. سورة الحشر آية 9

محبَّة صادقةً كانت أهم محفِّزات الأنصار للتفاني في الخدمة وبذلِ المُهَج* والمُقَل* لإخوانهم

* الإيثار :آثَرَ فلاناً على نفسه أي فضّلَهُ
* خصاصة : حاجَةٌ مُلِحَّةٌ
المهج : الدم أو دم القلب ومهجة كل شيئ أحسنه وخالصه.
* المقل : من المقلة شحمة العين : السواد والبياض منها.

المهاجرين. أولئك قوم امتزجت أرواحهم وتصافحت قلوبهم فأضحى أصحابها ذاتا واحدة. بل لقد وصل الأمر بالأنصاري أن يتنازل لأخيه المهاجري عن إحدى زوجتيه بطلاقها. هكذا كانوا رضي الله عنهم جماعة عضوية يتعاونون في السراء والضرَّاء، ويتأزرون* في الشدة والرَّخاء، ويتَّحدَّون في النوازلُ والمُلِمَّات*، ويقتسمون النعمة ويستبقون إلى الخيرات، يألم بعضهم لألم بعض كما وصف سيد الكائنات صلى الله عليه وسلم بقوله :

"مثل المؤمنين في توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمَّى". [20]

---

20 - أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه عن النعمان بن بشير رضي الله عنه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم.

* يتأزرون : يتعاونون، يَشُدُّ بَعضهم أَزْرَ بَعْضٍ

* النَّوازِل والمِلِمَّات : المصائِب والمِحن.

تراحم وتفاعل لا يسمح أن يستغني بعضهم عن بعض مهما كانت القيمةُ والوظيفة داخل الجسم، وهذا من شأنه أن يضع حدا لتفشّي الداء واستفحاله.

وإن لنا في الحبيب المحبوب الأسوة الحسنة . قالت له زوجُه أمُّنا خديجة رضي الله عنها حين رجوعه من الوحي فزعا : **كلا والله لا يخزيك الله أبدا ! إنك لَتَصِلُ الرَّحِم ، وتحمل الكَلَّ**، (وهو من لا دابة له، فهو عاجز عن السفر)، وتكسِب المعدوم، وتَقْرِي* الضيف، وتعين على نوائب* الحق (تساعد كل محتاج وكل من طرأ عليه طارئ)[21].

كان صلوات ربي وسلامه عليه يخدم بنفسه ضعفاء المسلمين ويقوم على حاجاتهم، تُوقِفه الجارية وتقول: لي حاجة، فيقف معها حتى يسمع حاجتها ويقضيها لها. وتخبرنا ابنَةُ خَبَّاب بن الأرث رضي الله عنهما قالت: "خرج خبَّاب

---

21 – رواه الشيخان رحمهما الله تعالى وغيرهما

* تقري الضَّيفَ : تطعمه، والقِرى أوَّل طعام الضيف.

* نوائب : مصائب، نكبات.

في سَرِيَّةٍ* فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعاهدنا حتى يَحْلُب عَنْزَةً لنا في جفنة لنا، فتمتلئ حتى تفيض، فلما قدِم خبَّاب حلبها فعاد حِلابها إلى ما كان " .[22]

وعلى أثره سار الصَّحْبُ الكرام والتابعون العظام. فهذا الصديق أبو بكر رضي الله عنه كان يحلب للحي أغنامهم، فلما استُخلِفَ قالت جارية منهم: الآن لا يحلبها. فقال لها أبو بكر: "بلى، وإني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه (يعني الخلافة) عن شيء كنت أفعله ". [23]"

وهذا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كان يتعاهد الأرامل، يسقي لهن الماء بالليل. وحدث ذات مرة أن أبصره أبو طلحة رضي الله عنه وهو يدخل بيت امرأة ليلا، ثم دخل إليها (أي أبو طلحة) نهارا فإذا هي عجوز عمياء مُقْعَدَة

---

22 – أخرجه الإمام أحمد رحمه الله . انظر جامع العلوم والحكم، ج2 ص187.

23 – المصدر السابق.

* سريّة : جيش يبعثه النبي ﷺ دون أن يكون من بينهم.

فسألها: ما يصنع هذا الرجل عندك ؟ فأجابت: هذا له كذا وكذا يتعاهدني، يأتيني بما يصلحني ويخرج عني الأذى. فخرج وهو يقول: ثَكِلَتْكَ* أمُّك يا أبا طلحة، أعَثرات عُمَرَ تتبع؟ ![24]

وانظر فقه ابن عباس رضي الله عنهما حيث يَدَعُ اعتكافه في المسجد النبوي، مسجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث الأجرمضاعف ألف مرة لتقديم خدمة إلى مسلم جاء يطلب منه العون. هكذا تعلّم من المصحوب الأعظم و المربّي الأكرم صلى الله عليه وسلم الذي قال:

"من مشى في حاجة أخيه كان خيرا له من اعتكاف عشر سنين".[25]

وأما الإمام زين العابدين رضي الله عنه، وهو من آل البيت الطاهرين عليهم السلام، فكان

---

24 - رواه الإمام أبو نعيم رحمه الله في الحلية، ج 1 ص 48

25 - أخرجه الإمام الطبراني رحمه الله في المعجم الأوسط والإمام البيهقي رحمة الله في شعب الإيمان.

* ثَكِلَتْكَ أمُّكَ : من ثُكِل أي فُقِدَ.

يحمل لأرامل وأيتام وفقراء المدينة جراب الدقيق، يتفقد أحوالهم ويمشي في حاجاتهم، وما عرفوا ذلك إلا بعد وفاته رضي الله عنه حين قدمه أصحابُه لتغسيله فرأو آثار السواد على ظهره.

أما أم درة رضي الله عنها فتحكي أنها أتت أمنا عائشة رضي الله عنها بمائة ألف، ففرقتها وهي يومئذ صائمة . فقلت لها : أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحما تفطرين عليه؟ فقالت : لو كنت أذكرتني لفعلت !

ولك أن تعْجَب من صَنيع الأنصارية التي أطعمت ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم عَشاء أطفالها، ولعظيم صنيعها تعجَّبَ ربُّنَا سبحانه حيث احتالت عليهم ليشبع وتلطَّفت لِيهْدأ بالَه.

ويروى أن أحد السلف الصالحين صام عشرين سنة، يصوم يوما ويفطر يوما، وكان من عادته أن يأخذ معه فَطورَه وغذاءَه إلى مقر عمله، فكان إذا صادف يوم صومه تصدَّق به، وإذا كان يوم فطره

أكله. هذا صنيعه دون أن يخبر أهله الذين كان يتناول معهم وجبة العشاء حين رجوعه إليهم.

وهذا سفيان بن عيينة لما جاءه مديون يسأله العون على قضاء حاجته بكى بعد أن نفَّس كربته. فقالت له امراته: ما يبكيك يا سفيان؟! فقال: أبكي أن اِحتاج أخي فلم أَشْعر بحاجته حتى سألني.

تُرى، ما سرُّ تفانيهم في خدمة بعضهم البعض بسعادة وسرور؟ حتى إن عبد الله بن جعفر رضي الله عنه لَيستقبلُ المحتاج بفرح وحبور قائلا: مرحبا بمن جاء يحمل زادنا إلى الآخرة!

سمع الأطهار رضي الله عنهم قول العزيز الغفار:

﴿ليس البر أن تولُّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيئين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة، والموفون

بعهدهم إذا عاهدوا، والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ .
سورة البقرة الآية 176.

عَلِموا أنَّ الخدمة وقضاء الحوائج قربة إلى الله تعالى من طريق المعاملة معه سبحانه في خلقه. قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : إن الله عزوجل يقول يوم القيامة :

"يا ابن آدم ، مرضت فلم تعُدْني* . قال: يا رب! كيف أعُودُكَ وأنت ربُّ العالمين ؟ قال: أما علمت أن عبدي فلانا مرِض فلم تعُدْه، أما علمت أنك لوعُدْته لوجدتني عنده. يا ابن آدم، استطْعَمْتُكَ فلم تطعمني ؟ قال : يا رب، وكيف أُطْعِمُكَ وأنت رب العالمين ؟ قال : أما علمت أنه استطعمك عبدي فلان فلم تطعمه، أما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي. يا ابن آدم، استسْقَيْتُك فلم تَسْقِني. قال : يا ربِّ، وكيف أسقيكَ وأنت رب العالمين ؟ قال : استسقاك عبدي فلان فلم تسقه، أما علمت أنك لو سقيته وجدت ذلك عندي !" [26]

26- رواه الإمام مسلم رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه

* لم تَعُدْنِي : لَمْ تَزُرْنِي، والعِيَادَةُ هي زيارة المريض.

سمِعوا وَوَعَوْا وأدركوا توجيه الحبيب صلى الله عليه وسلم وقد سأله رجل : أي الناس أحب إلى الله ؟ فجاء الجواب :

"أَحَبُّ الناس إلى الله أنفعهم للناس ، وأحب الأعمال إلى الله سرورٌ تُدْخِلُه على مسلم. ولأن أمشي في حاجة أخي فأقضيها له أحبُّ إلي من أعتكف في مسجدي هذا شهرا، ومن كظم* غيظا ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاً، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجة حتى يثبتها له أثبت الله تعالى قدمه يوم تزلُّ الأقدام ، وإنَّ سوء الخلُق لَيُفسد العمل كما يفسد الخلُّ العسلَ ". [27]

استشعروا رضي الله عنهم وأرضاهم أهوال البعث والحشر والصراط والميزان والحساب، استشعروا ذلك كله فكرَّسوا جهدهم وأوقاتهم

27 – عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الجامع رقم 176 وفي السلسلة الصحيحة رقم906

* كظم غيظا : دافعه في نفسه بحيث لم يصدُر عنه أي رد فعل ما تجاهَ مَن أَغْضَبه.

وأموالهم ومهجهم لتنفيس كُرب إخوانهم استبشارا و استمطارا لما وعدهم به الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم حيث قال :

"من نفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسَّر على مغسر يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة،والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ". [28]

رحمة بالإنسان تفيض لِتعُمَّ الخلق، كل الخلق. جاء في الحديث النبوي الشريف أن رجلا دخل الجنة في كلب عطشان سقاه بفلاة فأنقذه من الموت. فإذا كان هذا ثواب المحسن في حق الحيوانات العجماء ، فكيف ثوابه وجزاؤه للمحسن إلى الناس؟

لذا يحسُن بك أن تكون متفقدا لحاجات أخيك غير غافل عنه، بادر ولاتنتظر حتى يسألك — فلربما منعه

---

28 - أخرجه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه،كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار،باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر.

الحياء — وإذا عجزت عن إسداء الخدمة إليه فاعتذر له بأسلوب أخوي مؤدب لطيف مشعرا إياه حسرتك لعدم تلبية طلبه، داعيا له بالتيسير والتوفيق، فهذا أدعى لقَبول عذرك وبقاء وُدِّك. سَل مولاك أن يجعلك للخير مفتاحا وللشر مغلاقا، واحرص إذا ما فُتح لك بابٌ إلى الخير أن تغنمه فإنك لاتدري متى يُغلق عنك. وتذكَّر أن قضاء الحوائج سبيل إلى تليين قلبك وإسعادك في دنياك وآخرتك . شكا رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قسوة قلبه فأرشده قائلا :

"إن أردت تليين قلبك فأطعِم المسكين وامسح على رأس اليتيم " [29]

ابُذُل وُسْعك واسْعَ جهدك لإسعاد غيرك جاعلا قول بَارِيكَ نُصْبَ عَينيك :

﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءا ولا شكورا ﴾ سورة الإنسان الآية 9

29 – أخرجه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده ،والإمام البيهقي رحمه الله في شعب الإيمان ، والإمام بن حميد رحمه الله في مسنده . والحديث حسنه الشيخ الالباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة .

إياك أن تمنَّ بعملك وتذكّر عطاءك أمام الناس للفخر فذاك محبط له . قال تعالى محذّرا :

﴿يا أيُّها الذين آمنوا لا تُبطِلوا صدقاتكم بالمنِّ والأذى﴾ سورة البقرة الآية 264.

وعن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

"ثلاثَةٌ لايكلِّمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يُزكِّيهم ولهم عذاب أليم (قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات)

قال أبو ذر : خابوا وخسروا من هم يارسول الله ؟

قال : "المسبل* والمنّان* والمنفق سلعته بالحلف[30] . "*

---

30 – رواه الإمام أحمد ومسلم وأصحاب السنن رحمهم الله

* المسبل : الذي يجرُّ ثَوبَه مِنْ خُيَلاء.

* المنّان : الَّذِي يَذْكُرُ عَطَاءَهُ فَخْراً.

* المُنفِق سلعته بالحلف : الذي لاسبِيل لِيَبيع سلْعتِه إلا عن طريق الإكثار من الحلف بالإيمان.

أَخْلِص عملك وإلا أضحى مرتعا لحظ النفس ونزغ الشيطان وحسرة وندامة يوم الوقوف بين يدي الملك الدَّيَّان . ورد في الحديث النبوي أن من بين من تُسعَّر بهم جهنم والعياذ بالله صاحبُ المال ، يقول الله له : ألم أوسِّع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد ؟ قال : بلى يا رب . قال : فماذا عملت فيما آتيتك ؟ قال : كنت أصل الرحم وأتصدق، فيقول الله له : كذبت . وتقول الملائكة له : كذبت ، ويقول الله بل أردت أن يقال : فلان جوَّاد وقد قيل ذلك .[31]

---

31 - رواه الإمام الترمذي رحمه الله في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه

قـــال لي المحـــبـــوب لمـــا زرتـــــه

مَنْ بِبَــابِي ؟ قلت : بالباب أنا

قال لي : أخطـأتَ تـعـريف الـــهوى

حينما فرقتَ فـيه بـيـننـا

ومــضى عـــام، فـلمـــا جــئــتــه

أطرقُ البـــاب عليه موهـــنـا

قال لي : من أنت ؟ قلت : انــظــر

فـــما ثَمَّ إلا أنت بالبـــاب هنا

قال لي : أحسـنت تعـريف الهوى

وعـرفت الحب فادخل يا أنا [32]

32- أبيات للشاعر الشيرازي

المفسدة الثالثة

كثرة العتاب

لقد خلق الله جلَّت قدرته الإنسان وجعله على الخطإ مجبولا، فلا هو بالملَك المقرَّب ولا بالنبيِّ المرسل. روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

"كل بني آدم خطَّاء، وخير الخطَّائين التَّوابون[33]."

بيان نبويٌّ بليغ يكشف طبيعة الطِّينة الآدمية التي زرع الله عز وجل فيها بذور المخالفة لما يغلب على الإنسان من غرائز تتأجج في نفسه وسهو ونسيان وتحريض إبليسي.

---

33 - أخرجه الإمام الترمذي رحمه الله في سننه،كتاب صفة القيامة والرقائق والورع،وأخرجه الإمام ابن ماجة رحمه الله،كتاب الزهد،باب ذكر التوبة،وأخرجه الإمام الحاكم رحمه الله في مستدركه ،والحديث حسنه الشيخ الألباني رحمه الله في صحيح الترغيب والترهيب.

إنه ما من أحد منا إلا وله عيوب وقصور، وما من علاقة بين بني الإنسان إلا وتكتنفها مخالفة أو تشوبها* زلّة من هذا الطرف أو ذاك .

وغنيٌّ عن البيان أن الزَّلّة* نوعان : زلة في حق الله تبارك وتعالى، وزلة في حق الإنسان.

فإن كانت زلة أخيك مخالفة ومعصية في حق الله تبارك وتعالى فالواجب تنبيهه ونصحه، إذ هو إليك أحوج لتبصره عيوبه لتعينه على إصلاحها فيتخلص منها، وليس يقدر على ذلك إلا محب مخلص حكيم مثلك. قال الحبيب صلى الله عليه وسلم :

"إن أحدكم مرآة أخيه، فإذا رأى شيئا فليُمِطْهُ* عنه". [34]

---

34 - أخرجه الإمامان أبوداود والترمذي رحمهما الله تعالى

* تشوبها : تُخالِطُها.

* الزلّة : الْخَطأ والْمَعْصِيَة.

* يُمِطْهُ : يُزِيلُهُ.

انصحه، لكن في خلوة، قال الإمام الشافعي رحمه الله :

تعمَّدني بنصحك في انفرادي
وجنِّبني النصيحة في الجماعه
فإن النُّصح بين الناس نوع
من التوبيخ لا أرضى استماعه
وإن خالفتني وعصيت قولي
فلا تجزَع إذا لم تُعطَ طاعة

إيَّاك أن تُشهِّر به فتكن للشيطان عونا عليه ، أُستره فالستر أفضل وأجدى والفضيحة أمرُّ وأدهى. استره خاصة إن كان من ذوي السَّابقة والغَناء في الدعوة والصلاح والخير والاستقامة وذلك عملا بوصية خير البرية حيث قال :

"أقيلوا* ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود ". [35]

---

35 - أخرجه الإمام أحمد رحمه الله ، والإمام أبو داود رحمه الله في كتاب البيوع، باب في فضل الإقالة، والإمام ابن ماجة رحمه الله في كتاب التجارات ، باب الإقالة، وإسناده صحيح.

* أقيلوا : تغاضَوْا، تَغَافَلوا.

وذوو الهيئات كما عرَّفهم الإمام ابن القيم رحمة الله عليه هم «ذَوو الأقدار بين الناس من الجاه والشرف والسُّؤدد، فإن الله تعالى خصَّهم بنوع تكريم وتفضيل على بني جنسهم. فمن كان مستورا مشهورا بالخير حتى كَبا به جوادُه، ونَبَا غضبُ صبره، وأُديل عليه شيطانُه، فلا نسارع الى تأنيبه وعقوبته، بل تُقال عثرته ما لم يكن حدًّا من حدود الله»[36]

وبالمثال يتضح المقال : قالت أمنا عائشة رضي الله عنها لابن أختها عروة بن الزبير وقد سبَّ حسانا بن ثابت رضي الله عنه: يا ابن أختي دعه فإنه كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. [37] دافعت عنه لمنافحته بشعره عن زوجها صلى الله عليه وسلم رغم موقفهْ السلبي منها في حادث الإفْكِ*.

---

36 – بدائع الفوائد (3 – 139)

37 – رواه الإمام مسلم رحمه الله

* حادث الإفك : سيأتي بيانه فيما بعد انظر ص (59). محور تصديق الإساءة

وإذا الحبيب جاء بذنب واحد

جاءت محاسنُه بألف شفيع

انصحه، فإن تاب و رجع فنِعمًّا ما صنع. و الا فاهجره، اهجره هجر تأديب حتى يستعظم المعصية فيقلع. لكن إياك أن تُطيل الهجر أو تقطع حبل التواصل. فإن كان في الناس من من ينفعه الهجر ويصلحه فإن فيهم من يضرُّه ويفسده.

وأما إن كانت الزلة في حقك كأن ينالك منه أذى فأنت أمام خيارين. إما أن تأخذ حقك ممن ظلمك بقدر مظلمتك فتلك رخصة في مقابلة الإيذاء بمثله. قال تعالى:

﴿وجزاء سيئةٍ سيئةٌ مثلها﴾

سورة الشورى، الآية 41.

وإما أن تترك العتاب مطلقا مع سلامة صدرك من الغلّ والحزازات و الضغائن والأحقاد تجاهه. قال تعالى في السياق نفسه:

﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله ، إنه لا يحب الظالمين﴾

سورة الشورى 40.

ولك في حبيبك صلى الله عليه وسلم الأسوة والمثال. أخبرت زوجُه الفاضلة السيدة الطاهرة، أمنا عائشة رضي الله عنها، و هي أعلم الناس بسجاياه : «...وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها». [38]

وحتى تؤتي النصيحةُ أكلها وتُجنى بإذن الله ثمرتها أسوق بين يديك جملة آداب يحسن بك مراعاتها. منها على سبيل المثال لا الحصر:

- صحّح نيّتك أولا.
- تحيَّن الفرصة المناسبة زمانا وحالا ومكانا.
- تأكد من الخطإ قبل النصيحة فقد تبنيها على إشاعة من مُغْرِضٍ.
- النصيحة هديّة فاعرف كيف تقدّمها.

38- أخرجه الإمام البخاري رحمه الله في صحيحه، كتاب المناقب،باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، وأخرجه الإمام مسلم رحمه الله في صحيحه،كتاب الفضائل، باب مباعدته للآثام واختياره من المباح أسهله، وانتقامه لله عند انتهاك حرماته

▪إن استطعت أن تقدم نصيحتك على شكل اقتراح فافعل.

▪أُبذل له النصح بلطف وأدب ورفق ولين.

▪عاتب بالحسنى حتى يُفتَل من العُرى ما انتُقِض و يُغسل دَرنُ ما حصل و يُعاد وصلُ ما انقطع.

▪ أشعره وأنت تقدم له النصح أنك تحبه.

▪أُعف عنه حتى يأنس بعطفك، واستغفر له حتى يعلم أنك تحمل همه أمام ربه، ثم بعد ذلك انصح له.

▪لا تستجمع أخطائه لتنزل به حكمك، بل كلما بدرت منه هفوة فانصح له.

▪ لاتكُ شبحا همُّك المراقبة الدقيقة والمحاسبة الشديدة بدعوى الحزم وحسن الإدارة.

▪لاتكُ لقَّاطا للعثرات مثل الذباب لا يقع إلا على القاذورات.

▪انصِحه في خلوة فذاك أدعى للقَبول، واحذر التناجي والتشتت في القيل والقال.

- أشر لخطئه تلميحا لا تصريحا.
- لا تَغُضّ طرفك عن محاسنه، أو تعميك زلّة عن فضلٍ بَدَرَ منه. فإن من غلب خيرُه شرَّه وُهِب نقصُه لفضله.
- لا تضخّم زلّته.
- صحّح خطئه دون أن تجرح مشاعره.
- إياك والكلام الجارح والنقد اللاذع.
- لا تعيّره بخطئه فذاك يُولّدُ في نفسه العناد والرغبة في الانتقام.
- ضع نفسك موضعه، وتذكّر أن الأيام دُوَلٌ، فقد تُبتلى بمثل خطئه.
- غُضّ طرفك عن مساوئه يَدُمْ لك وُدُّه، فالأريب* العاقل هو الفطِن المتغافل.
- إذا أتاك معتذرا نادما فلا تكسر قلبه بكبريائك، بل اُعف وتجاوز، عامل بمثل ما تحب أن تعامل به لو كنت مكانه.

---

* الأريب: من أرب أربا أي صار ماهرا

▪دع الجدل العقيم فإنه رحم خصبة لولادة العداوة وتعكير صفو المودة.

▪لا تشهِّر به إلا أن تحذر من شره.

▪احذر احتراف النقد والعتاب الدائم.

▪إذا سئلت عنه فلا تحاول تشويه صورته.

▪إياك والتحول المفاجئ، البارحة قديس واليوم إبليس، بل «أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما».

▪ احرص أن لا تلقاه إلا بقلب سليم.

▪ سَلِ الله أن يستلَّ سخيمة* قلبك.

▪اذكره كلما دعوت لنفسك، دعاء يشفي النفس من أوجاعها ويستلّ كثيرا من سخائمها.

---

* سخيمة : ضغينة

▪لا تتناج* مع غيره فتغتابه تحت أي مسمىً من المسمَّيات مثل المصلحة مثلا.

▪احذر أن يتحكم فيك تعصبك لرأيك فيقتل فيك صفاء نفسك ونقاءها.

▪ لاتعيِّره بذنبه، فإن من عيّر أخاه بذنب لم يمت حتى يقع فيه.

▪ لا تدفعنّك هفوته إلى مقاطعته وهجره، خلِّ بينك وبينه شعرة معاوية، شعرة سلام، سؤال عن صحة، تهنئة في فرح، مواساة في قرح.

▪ لازمه ملازمة الطبيب للمريض. لاتعافه، بل أشفق عليه حتى يتخلص من مرضه.

▪ اذكر الجوانب المشرقة عنده.

▪ احفظ ماء وجهه وإن لم يقنعك عذره، فربما لم يسعفه مقاله وبيانه ولم ينل حظوة في حديثه وبرهانه.

▪ لا تصنِّفه في زمرة أعدائك.

* لا تَتَنَاجَ: من التناجي وهو الحديث بين اثنين أو أكثر في مكان منعزل عن الناس.

- إياك أن تهجره دون أن يعرف السبب.
- لا تظهر الشماتة لأخيك فقد يرحمه الله ويبتليك.
- لاتعميك هفوته عن فضله فتفقد الميزان العادل والحكم المنصِف.
- أبغض المرض وأشفق على المريض.
- انتبه أن تمدح نفسك وأن تنصحه.
- اترك الجدل قدر المستطاع، خاصة إن شعرت أنه يكابر.
- واستحضر أن ربَّ العزة عفو يحب العافين، يحبهم وينزلهم منزلة عباده المحسنين لقوله سبحانه وهو أصدق القائلين :

﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾ سورة آل عمران، الآية 133

فلا تَحرم نفسك من بركات اسم ربك العفو التواب الغفور سبحانه وتعالى.

أُنظر سيدنا يوسف عليه السلام وقد عفا وأصفح عن إخوته رُغم نبذهم له و قسوتهم وافتراءهم عليه، عفا وأصفح وقد هيأ الله له موقفا يستطيب الانتقام منهم وتوبيخهم، بل ذيَّل عفوه وصفحه بالدعاء لهم بالمغفرة وتأميلهم في رحمة الله. قال لهم :

﴿لا تَثْرِيبَ* عليكم، اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين﴾
يوسف، الآية 92

وتدبَّر موقف الحبيب صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة وقد أتاه مَن بالأمس آذاوه ، أتوه أذلة صاغرين فقال لهم والبسمةُ تعلو مُحيَّاهُ :

"اذهبوا فأنتم الطلقاء".

ولِنتذكّر ما ورد في الأثر : «يقف عبدان بين يدي الله يوم القيامة فيقول أحدهما : يارب خذ لي مظلمتي من أخي، فيقول الله للآخر: أَعطِ أخاك مظلمته، فيقول : يا رب فَنِيَتْ حسناتي،

---

* لا تَثْرِيب عليكم : لا لَوْمَ ولا عِتابَ عليكم.

فيقول الله للمظلوم : فنيت حسنات أخيك، فيقول المظلوم: فليأخذ من سيئاتي وتطرح عليه، فيقول الله للمظلوم: فهل لك في خير من ذلك؟ فيقول: وما ذاك يا رب؟ فيقول : ارفع رأسك، فيرفع رأسه فإذا بقصر أجمل ما يكون. فيقول العبد: يا رب لمن هذا القصر؟ هل هو لنبيٍّ أم لشهيد؟ فيقول: هو الله لمن يملك الثمن، فيقول العبد : ومن يملك الثمن؟ فيقول الله: أنت تملكه، فيقول: كيف؟ فيقول: بعفوك عن أخيك. فيقول: عفوت يا رب، عفوت يا رب. فيقول : خذ بيد أخيك وادخلا الجنة» . في ذلك اليوم ينادي المنادي : «ليقم من أجره على الله ، فلا يقوم إلا من عفا » فما عسى يفيدك أَن يعذَّب اخوك بسببك ؟

قصة للتأمل :فلقد حدث أن بعث الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه للمشركين يخبرهم بخروج رسول الله صلى الله

عليه وسلم، يخبر قريشا بنية المسلمين في التوجه الى مكة لفتحها.

لِنتأمَّل كيف كان موقف الحبيب صلى الله عليه وسلم ؟ سأل حاطبا :

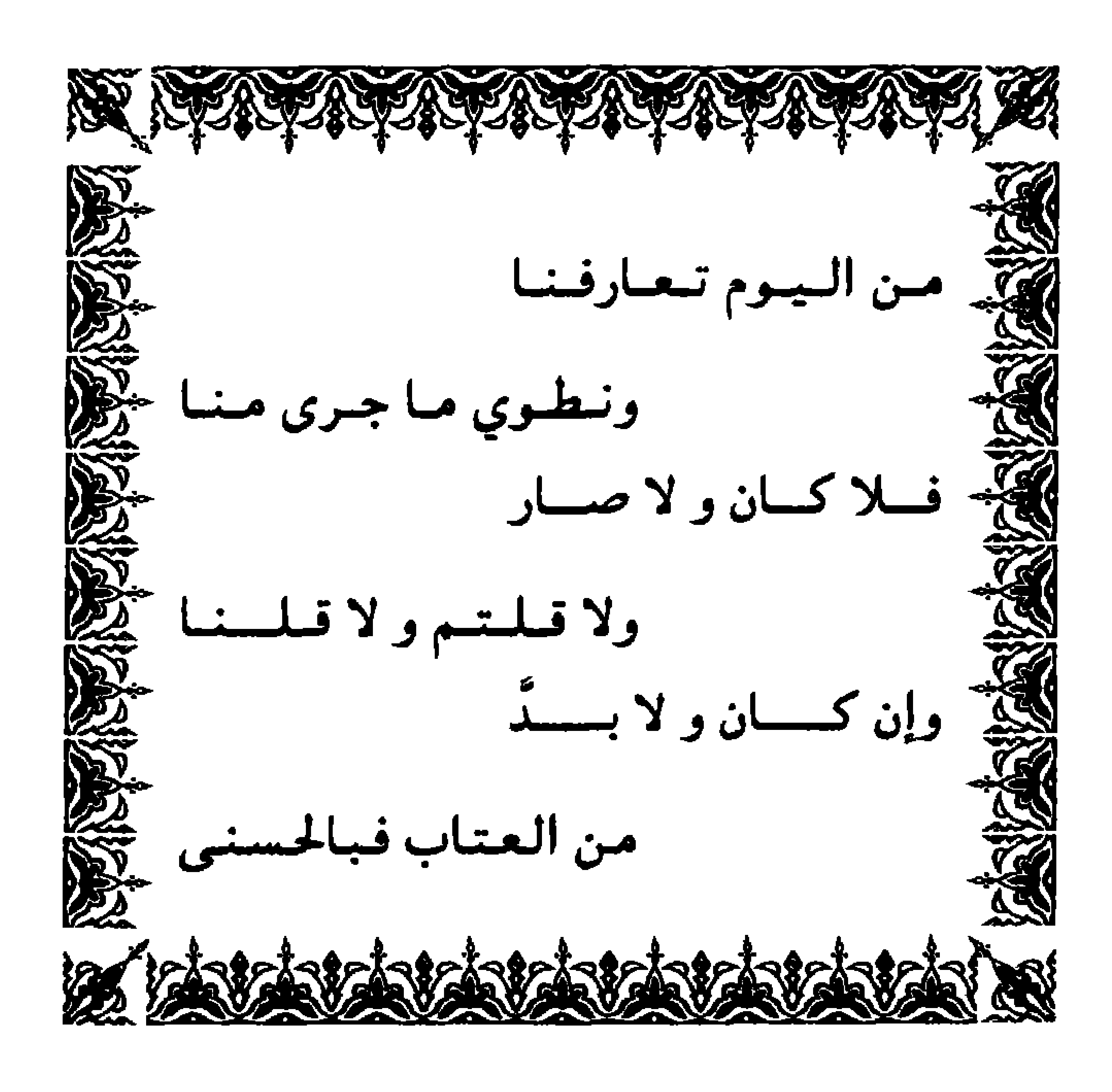
"ما حَمَلَكَ يا حاطب على ما صنعت؟ "

تبيُّنٌ واستيضاح و استفسار. فأجاب حاطب : ما بي إلا أن أكون مؤمنا بالله و رسوله، و ما غيرت ولا بدلت ، بل أردت أن تكون لي عند القوم يد يدافع الله بها عن أهلي ومالي، وليس من أصحابك هناك إلا و له من يدفع الله به عن أهله و ماله. لم يكن الباعث على فعله نفاق أو خيانة، بل أراد أن تكون له عند المشركين يد يحمي بها قرابته و ماله. فماكان من عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلا أن نادى قائلا: إنه قد خان الله و رسوله و المؤمنين، فدعني أضرب عنقه. فالتفت إليه المربي الأكرم والقائد الملهم مخاطبا :

"ياعمر، و ما يدريك لعل الله اطَّلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد وجَبَتْ لكمُ الجنَّـة. "

عندها دمعت عينا عمر وقال معتذرا: «الله ورسوله أعلم». [39]

39 - روى القصة الإمام البخاري رحمه الله في الجهاد وفي المغازي وفي التفسير. والإمام أحمد رحمه الله في المسند.



من اليوم تعارفنا

ونطوي ما جرى منا

فلا كان و لا صار

ولا قلتم و لا قلنا

وإن كان و لا بدًّ

من العتاب فبالحسنى

المفسدة الرابعة

الظنُّ السيئ

يعتبر سوء الظن من أكثر الآفات ضراوة وأشد العلل فتكا لما له من آثار مهلكة كالخلافات والمنازعات. ولخطورته أكّد الشارع الحكيم على ضرورة اجتنابه فقال عز من قائل :

﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن، إن بعض الظن إثم﴾

سورة الحجرات، الآية 12.

كما حذر منه نبينا صلى الله عليه وسلم بقوله:

"إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث ،ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا، وكونوا عبادا لله إخوانا ". [40]

---

40 - أخرجه الإمام البخاري رحمه الله،كتاب النكاح، باب لايخطب من خطب أخيه حتى ينكح أو يدع، والإمام مسلم رحمه الله، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظن .

الظن السيء كما سبقت الإشارة خلق مقيت وسلوك مشين، هو ترجيح لما يخطر في النفس من احتمال السوء وخاطرة تنقدح في الذهن فينفخ فيها الشيطان لينزلها منزلة الحقيقة التي لا مِراء فيها ولا جدال حولها، فيتصور المرء في الناس أشياء ليست فيهم ثم يقنع بها نفسه ليبني عليها سائر تعاملاته وسلوكاته.

الظن السيء تخرُّصات وأوهام ورجم بالغيب غير مبنيٍّ على دلائل صريحة وبراهين راجحة، وفي أغلب الأحوال تكون الخلفية النفسية لصاحبه منبئة عن أمراض في النفس كالحسد والأثرة* والأنانية وحب الذات والرغبة في الوقيعة بين الناس.

الظن السيء تأويل لتصرفات الناس على أسوء الاحتمالات لا على أحسنها، وتفسير كلامهم وتصرفاتهم وأخبارهم تفسيرا سلبيا،

---

* الأَثرة : الأنانية وحب الذات.

فيُتصوَّر فيهم أشياء من نسج الهوى دون دليل فاطع ولا برهان ساطع .

الظن السَّيِّء أن يفرغ المرء كلام غيره من مضمونه ويملأه بمعان ليست من مدلوله. وغير خافٍ عن كل ذي لبٍّ مَا للكلمة دلالات متنوعة، وقس على ذلك الأفعال والتصرفات والحركات والإشارات، فلها بدورها محامل كثيرة. ومن حسن الظن - وهذا هو الأصل- أن تحملها محملا حسنا. إن الأصل في الشرع حسن الظن، وتمامه أن تنقل أصبع الإتهام من السّبابة إلى الإبهام بحيث تسيء الظن بنفسك وتحسنه بغيره.

حسن الظن أن تسعى جهدك وتبذل وسعك ملتمسا له الأعذار التي تبرئ ساحته فتريح وتستريح.

حسن الظن أن لا تُؤوِّل كلماته وحركاته تأويلات سلبية. ادعُ ربك أن يصرف عنك خواطر السوء، وإن لم تستطع التغلب عليها فلا تحملها في

صدرك أو تحدَّث بها أحدا غيرك ،بل ألجم لسانك عن الكلام علَّك تَسْلَم .

احذر أن يستدرجك سوء ظنك به إلى التجسس عليه فتتصل بفلان وتحادث عِلاّن لتستجمع القرائن حتى تثبت سوء ظنك به. اتهم نفسك، لاتسوغ لها الخطأ، واستشعر التقصير في جنب الله والْتمِس المعاذير لخلقه .

لا تُنصِّب نفسك رقيبا على نيات العباد فأسرار القلوب لايعلمها إلا علاَّم الغيوب الذي لا تخفى عليه شاردة ولاخافية ولا يغيب عنه سرٌّ ولا علانية.

واعلم أن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم ، يستغل الفرصة المواتية ليَبُثَّ سمومَه فيحدث الوقيعة والتحريش والتفريق بين الأحبة. يروى أن صحابيان جليلان رأيا سيدنا رسول الله رسول الله صلى الله عليه و سلم يحادث امرأة في المسجد فأسرعا الخطى، فتدخل الحبيب صلى الله عليه وسلم وقال :

"على رسلِكُما، إنما هي صفية بنت حيي (زوجته)".

فقالا : وهل نظن بك إلا خيرا يا رسول الله!

فقال : إن الشيطان يجري من الانسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرا " .

أجل، إن الأصل حسنُ الظن وعدم اتهام الغير بدون بينة ولا دليل. نصحك تلميذ النبوة، عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : **«لا تظنَّ بكلمة خرجت من أخيك المسلم سوءا وأنت تجد لها في الخير محملا»**.[41]

ورحم الله أبا قِلابة عبدالله بن زيد حيث قال : **«إذا بلغك عن أخيك شئ تكرهه فالتمس له العذر جهدك، فإن لم تجد عذرا فقل في نفسك لعل لأخي عذرا لاأعلمه»**.[42]

أما إن أضحى دَيدنُك تتبُّع السقطات و تصيُّد العثرات لإشاعتها في الملإ فانتظر الجزاء من رب

---

41 – تفسير الحافظ ابن كثير رحمه الله (4 - 212) سورة الحجرات ،ورواه الإمام أحمد رحمه الله في الزهد .

42 – حلية الأولياء (2 - 285) .

الأرض و السماء. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

"يا معشر من أسلم بلسانه ولما يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين و لا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته. و من يتبع الله عورته يفضحه في بيته ". [43]

وقد أحسن من قال وأجاد :

وتعذِر نفسك إذا ما أسأتَ

وفي غيرك العذرَ لا تعذرُ !

وتبصر في العين منه القذى

و في عينك الجذعَ لا تبصرُ!

أما إذا بلغك عن أخيك خبر يسوؤه فلا تطلق لخيالك العَنان ليصوّغ لها شتى الاتهامات ، بل احمل ما سمعت على أحسن المحامل الممكنة، فلأن تحسن الظن فتغنم خير من أن تسيئ الظن فتندم .

43- رواه الإمامان أحمد وأبو داود رحمهما الله وغيرهما بسند صحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

قال المولى تبارك وتعالى لعباده وإمائه بعد حادث الإفك :

﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين﴾ سورة النور، الآية 12.

إذابلغك عن أخيك خبر فاسْعَ إليه واتَّصِلْ به تستفسره وتتبيَّن منه ماسمعت عنه حتى لاتترك للشيطان فرصة العبث بينك وبينه .

وغَنيٌّ عنِ البيان أن حُسْن الظن لايعني ان يكون الإنسان ساذجا، بل ينبغي أن يكون يقظا في تعاملاته محتاطا لأمره ، كما لايعني حسن الظن تسويغ الأخطاء واعتساف* المعاذير لأصحابها أو جعل سيئاتهم حسنات مما يفضي إلى تراكمها واجترارها ، وإنما القصد معالجتها بإنصاف وعدل، معالجتها معالجة تضع الخطأ في مكانه دونما تهوين أو تهويل .

* إعْتِساف المعاذير : التماس المعاذير لِمَنْ لا عُذْرَ له.

إذا رُمت أن تحيا سليما من الأذى

ودينك موفور وعِرضك صيِّنُ

فلا ينطقنَّ منك اللسانُ بعورة

فكلُّك عوراتٍ وللناس ألسنُ

وعيناك إن أبدت إليك مساوئا

فدعها وقل يا عين للناس أعينُ

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى

ودافع، ولكن بالتي هي أحسنُ

الأبيات للإمام الشافعي رحمه الله

المفسدة الخامسة

تصديق الإشاعة

الإشاعة هي الخبر يختلقه بعض المغرضين ويذيعونه لأهداف خبيثة، فيتلقّفه البسطاءُ ويروّجوه دون تفكير متّزن ولا وعي متيقّظ بمقتضاه ومقصده، وإنما عن تلقين أو تقليد. يتناقلوه و يروّجوه دون أن يتبيّنوا صحّتَه أو يتحقّقُوا صدقَه أو يكلّفوا أنفسهم عَناء معرفة مصدره، فتكون النتيجة شيوع الفُرقة والعداوة والتباغض والتنافر بين العباد.[44]

ولمعرفة عِظم شرِّها ومنتهى خطرها تعالوا بنا نَقِفُ هنيهة مع حادثة قصها علينا الله تبارك وتعالى في محكم تنزيله. حادثة هي بحقٍّ عِبْرة لكل

---

44 –جاء في لسان العرب : شاع الخبر في الناس يشيع شيْعا وشيعانا ومشاعا وشيعوعة فهو شائع أي انتشر وافترق وذاع وظهر . وأشاعه : أطاره وأظهره . وقولهم خبر شائع : اتصل بكل أحد فاستوى علم الناس به ، ولم يكن علمه عند بعضهم دون بعض . والشاعة : الأخبار المنتشرة.

من ابْتُلِيَ بوباء الإشاعة العضال ، إنها حادثة الإفك، تِلكُم الفِرْية* في حق الطاهرة الشريفة العفيفة المطهَّرة مولاتنا وأمنا عائشة رضي الله عنها. فرية آثمة أشاعها المنافقون وذهب ضحيتها بعض المؤمنين. لنتابع التعليق الجميل للشهيد الجليل سيد قطب تغمده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنته. لكن قبل ذلك دعني – أخي ، أختي – أعرض بين يديك موجزا عن هذا الحدث .[45]

فبعد الفراغ من غزوة بني المصطلق أَذِن النبي صلى الله عليه وسلم بالرحيل، فإذا الصديقة رضي الله عنها تفقد عقدا كان في عنقها ، فأبطأت عن القافلة لطول ما بحثت عنه. فحمل القوم هودجها ظنًّا منهم أنها بداخله. وبعد عناء البحث وجدته لكن لم تجد القوم، فرجعت لِتوِّها إلى منزلها الذي كانت فيه عسى يفتقدوها فيرجعون إليها. فبينما هي جالسة في منزلها إذ غلبتها عينها فنامت، فمرَّ

---

45 – انظر ذلك مفصلا في كتب السِّير.

* الفرية : الكِذبة والافتراء.

بها صفوان بن المعطّل، فلما عرفها ما زاد على أن استرجع قائلا : «إنا لله وإنا إليه راجعون، ظعينة* رسول الله صلى الله عليه وسلم»! فاستيقظت باسترجاعه، وأناخ لها راحلته فركبت لتلحق القوم، وكان ذلك في الصباح . فوجدها المنافقون، أهل الإفك، فرصة ليصطادوا في الماء العكر فعرَّضوا بشرفها. وحين بلغ الخبرُ زوجَها صلى الله عليه وسلم وأبواها عانتِ معاناة شديدة وبكت بكاء مُرًّا حتى ظنت أنه فالقٌ كبدَها. وتمضي الايام، وينقطع الوحي قرابة شهر في شأنها إلى ان جاء اليوم الذي كان فيه صلى الله عليه وسلم معها وفي حضرة أبيها وأمها إذ تغشّاه من مولاه عزوجل ما كان يتغشّاه، فلما سُري عنه إذا به يضحك صلى الله عليه وسلم ويمسح العرق عن وجهه ويقول :

"أَبشِري يا عائشة قد أنزل الله عزوجل براءَتكِ".

أنزل من فوق سبع سماوات آيات براءتها تتلى في شأنها إلى يوم القيامة :

﴿إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم، لا تحسبوه شرا لكم ، بل هو خير لكم ، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم. والذي تولّى كِبره منهم له عذاب عظيم، لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون و المؤمنات بأنفسهم خيرا و قالوا هذا إفك مبين، لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء، فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون﴾ سورة النور، الآيات 11-12-13

ولنتأمل قوله جل وعلا في السياق نفسه:

﴿إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم﴾ . سورة النور، آية 15

قال سيد قطب رحمه الله في قوله تعالى ﴿إذ تلقونه بألسنتكم﴾ : لسان يتلقى عن لسان بلا تدبُّرٍ ولا فحص ولا إمعانِ نَظَرٍ حتَّى لَكأنَّ القول لا يمرُّ على الأذان ولا تتملاّه الرؤوس ولا تتدبره العقول ! ﴿وتقولون بأفواهكم﴾ : لا بِوعْيِكم ولا بعقلكم ولا بقلبكم، إنما هي كلمات تقذف بها

الأفواه قبل أن تستقر في المدارك وقبل أن تتلقاها العقول». [46]

خفة وطيش وتهور. لذا فلا غرو أن جعل الله عزوجل من وسائل علاج الإشاعة تربية السامعين لها أنفسهم على منهج التثبت والاستيضاح والتبين دون التركيز على مصدرها ، وهذا بإذن الله تعالى كفيل بوأدها في مهدها وإيقاف تدفُّقها واستفحالها.

قال عز من قائل :

﴿ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ﴾ سورة الحجرات، الآية 6

تحذيرٌمن المسارعة في التصديق، وأمرٌ لكل من سمع خبرا بالتثبُّت والتأكد مما سمع ، والعلّة كما ذكر الله عزوجل في السياق نفسه :

﴿أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾ . سورة الحجرات آية 6

---

46 – في ظلال القرآن(3052-2052/4)

ويظهر الندم في الآخرة عندما يجد المرء أكواما من السيئات كتبت عليه :

﴿ويحسبونه هينا وهو عند الله عظيم﴾

ولنتدبر قول المولى عز وجل :

﴿إن السمع والبصر والفؤاد، كل ذلك كان عنه مسؤولا﴾ سورة الإسراء، الآية 36.

«إنها أمانة يرتعش الوِجْدان لدقَّتها وجسامتها كلما نطق اللسان بكلمة، وكلما روى الإنسان رواية، وكلما أصدر حكما على شخص أو أمر أو حادثة ». [47]

ولمعرفة الطريق الأمثل للتصدي لخطر الإشاعة أرى من الضروري معرفة أصناف الناس في التعامل مع الخبر.

فمنهم من يسمعه فينقله على غير وجهه، ليس من باب الافتراء والكذب لكن بسبب فهمه

47 - في ظلال القرآن، 22 - 27.

على غير مراده فيطلق الكلام على عواهنه. ومنهم من يقطعه من سياقه وما حاطه من ملابسات فيقوّل غيره ما لم يقله. ومنهم من ينقل مفهوم الكلام لا منطوقه ونصَّ كلامه وطريقة نطقه. ومنهم من ينتقي منه ما يوافق هواه ويحقق مصلحته. ومنهم من يقرن بين الخبر وبين قائله في غفلة تامة عن مدى تأثير رؤيته الفكرية وانطباعاته النفسية على صياغة الخبر وطريقة نقله . ومنهم الذي يصله الخبر صحيحا فيبلّغه كما سمعه دونما زيادة أو نقصان ، لكن بسخرية وتهكّم واحتقار مما يحطُّ من قيمته وقيمة من أُخبِر عنه . ومنهم الذي يهوّن الخبر ويستصغره أو يهوّل منه ويستعظمه . ومنهم ومنهم وهلمَّ جرًّا....

نأتي الآن لأسوق إليك بعض الآداب والمهارات في التعامل مع الخبر يصلُك عن أخيك :

– لا تعجَل بقَبوله، بل أمهل وتريث حتى تعلم صحّته.

قد يدرك المتأنّي بعض حاجته

وقد يكون مع المستعجل الزللُ

– لا تنظر إليه مسلَّمة لا جدال حوله، بل اُنظر إليه بعين ناقدة فاحصة متثبّتًا من حقيقته وظروفه وملابساته. بادر بحسن الظن لمجرد سماعه :

﴿لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين﴾ . سورة النور آية 12

– احذرأن تنشره في المحافل والمجالس والمنتديات، فإن الكلمة إذا انطلقت استحال إرجاعها، وإن رُمْتَ تدارك الأمر عجزت. وإذا ما تبين خطأُ ما أشعتَ فقد سقطت عدالتك وأصبحت عُرضة للاستخفاف ممَّن له هوى في نفسه.

– عند الإشاعة أن فلانا فعل كذا وصنع كذا، اتصل به مباشرة للتأكد من الخبر قبل الخوض

فيه، فهذا يحفظ ماء وجهه، ويعزز ثقته بك، ويرفع قدرك عنده.

– ارجع إلى جهة الإختصاص لمعرفة الخبر الشائع . قال تعالى :

﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾

سورة النساء، الآية 83 .

نزلت الآيَةُ في شأن المنافقين الذين كانوا يتلقون أخبار السرايا ويُشِيعُونها قبل أن يتحدث عنها النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذ هو جهة الاختصاص .

– احرص أن لا تنقل عن أخيك إلا الطيِّب حتى لا تكون سببا في إيغار صدور إخوانه عليه. كان الحبيب صلى الله عليه وسلم يقول :

"لا يُبلِّغُني أحد من أصحابي عن أحد شيئا، فإني أحب أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر " [48]

---

48 – أخرجه الإمام الترمذي رحمه الله في سننه عن ابن مسعود رضي الله عنه ، كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم.

وهَبْ أنك سمعت خبرا ما عنه فلتتوقف عن تصديقه، وحتى إن ثبت صدقه فتوقف عن إشاعته ونشره بين الناس خاصة إن تبيَّن أن لا مصلحة هناك. واعلم أن كل همٍّ أو غمٍّ أصاب أخاك بسبب تصديقك الإشاعة حوله وترويجها إلا كان عليك نصيب من الإثم فيها.

كيف تستبيح السعي بأخباره وتشيع السوء بين إخوانه ؟ اتَّقِ الله في نفسك ولا تلعب بآخرتك، أما سمعت تحذير البشير النذير صلى الله عليه وسلم حيث قال:

"... **شرار عباد الله المشّاؤون بالنميمة، المفرِّقون بين الأحبة، الباغون البُرآء العنت**". [49]

وقول الصحابي الجليل أبي الدرداء رضي الله عنه: "أيُّما رجل أشاع على امرئ مسلم

---

49 – أخرجه الإمام أحمد رحمه الله في مسنده عن عبد الرحمان بن غنم رضي الله عنه، وأخرجه أيضا من حديث أسماء بنت يزيد الأنصارية.

50 – أخرجه أبو الشيخ في التوبيخ والتنبيه بإسناد حسن، رقم130

منها بريء ليشينه كان حقا على الله أن يعذبه يوم القيامة في النار حتى يأتي بنفاذ ما قال».[50]

في رواية الإمام البغوي رحمه الله: «ومن قفا* مسلما بشَيْئٍ يريد شَيْنَه به حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرج مما قال "

شرُّ الورى بعيون الناس مشتغل

مثل الذباب يُراعي موضع العِلل

واعلم أن من سنن الله تعالى في خلقه أن الجزاء من جنس العمل، فمن حفظ أعراض المسلمين حفظ الله عرضه، ومن جرحها وفضحها فضحه الله في عقر داره وعلى رؤوس الأشهاد يوم لقائه.

فيا من يتفكّه بعرض أخيه ويتنذّر، أَ تُراك نسيت موعود ربك يوم الوقوفَ بين يديه والعرض والمَحْشَر. فالبِدار* البدار قبل أن لا ينفع درهم

---

50 – أخرجه أبو الشيخ في التوبيخ والتنبيه بإسناد حسن، رقم130

* قَفَا : تتبّع

* البدار : المسارعة.

ولا دينار كما أخبر حبيبك المختار صلى الله عليه وسلم. عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال:

"من كانت عنده مَظْلمة لأخيه من عِرْضه أو شيء فليتحلله من اليوم قبل أن يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيِّئات صاحبه فحمل عليه". [51]

وأما من أبلغك الإشاعة أو ذكر أخاك بسوء فأنت أمام خيارين اثنين، فإما أن تنصرف وتُخليَ المجلس زجرا للقائل عما حرَّم الله تعالى. وإما أن تَذِبَّ وتنافح عن عرض أخيك ما استطعت إلى ذلك سبيلا ، وإلا أديت الثمن من حسناتك يوم القيامة. ضع نُصب عينيك قول نبيك صلى الله عليه وسلم :

"ما من امرئ مسلم يخذل امرءاً مسلماً في موضعٍ تُنتَهك فيه حرمته ويُنتَقَص فيه من عرضه إلا خذله

51 - رواه الإمام البخاري رحمه الله.

في موطن يحب فيه نصرته. وما من امرئ ينصر مسلما في موضع يُنتقص فيه من عرضه ويُنتهك من حرمته إلا نصره الله في موضع يحب فيه نصرته ". [52]

إن النصيحة إن كنا ننادي بها في الناس فإن الواجب يحتِّم أن نبدأ بأنفسنا أولا، نتربَّى على ذلك ولا نكون إمعة*. الواجب أن توطِّن نفسك وتستجمع قوتك وشجاعتك لتقول للمسيء أسأت وللمخطئ أخطأت، .تقولها في غير عنف أو تجهم بل بلطف وأدب.

عظِّم حُرمة أخيك فهي عند الله أعظم من حرمة الكعبة المشرَّفة. نظر إليها الصحابي عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرة فقال: « ما أعظمك وما أعظم حرمتك، والمؤمن أعظم حرمة منك». [53] كيف

---

52 – أخرجه الإمام أبو داود رحمه الله في سننه من حديث أبي طلحة الأنصاري وجابر بن عبد الله، كتاب الأدب، باب من رد عن مسلم غيبة

53– أخرجه الإمام الترمذي رحمه الله في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في تعظيم المؤمن، وحسنه الشيخ الالباني رحمه الله في غاية المرام ص249

* إمعة :التابع الذي لا رأيَ لَه.

تستهين به وقد حذرك المصطفى صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال:

"بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم". [54]

وأما إن كنت ممن حوله أشيع البهتانُ وحامت التُّهم فطَاوِع نفسك وجاهِدْها أن تقابل الإساءة بالإحسان. أبطِن الخير وأظهِر المعروف وارْفَع أكُفَّ الضَّراعة بقلب خاشع منيب داعيا مستَغفرا لمن آذاك، فهذا برهان طُهر قلبك وصفاء سريرتك ونقاء نفسك من أدران الغلّ وشائبة الحقد ومهلكة الحسد. اُدع له متمثّلا قول القائل:

إذا أدْمَتْ قَوارصُكم فؤادي
صبرتُ على أذاكم وانطويت
وجئت إليكم طلقُ المُحيّا
كأني ما سمعت ولا رأيتُ

---

54 – رواه الإمام مسلم رحمه الله في البر والصلة، و الإمام أبو داود في الأدب، والإمام الترمذي رحمه الله في البر والصلة، و الإمام ابن ماجة رحمه الله في الزهد، وكلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه الإمام أحمد رحمه الله في المسند من حديث واثلة بن الأسقع رضي الله عنه.

وحتى أكون وإياك على حذر من الوقوع في داء الإشاعة الوبيل، تعالَ نتعرف على بعض أسباب انتشارها :

أولا : فصاحة قول المشيّع وحُسنُ منطقه.

في زُخرفِ القول تَزيينٌ لِباطله
والحقُّ قد يعتريه سوءُ تعبير

ثانيا : كونه ممن يستمال إليه قلبُ السامع إما بسبب صحبة أوتحزب أو غيرهما. مما قد يمنعه عَناء البحث وفحص ما يسمع، فأحرى أن يطالبه بالبيِّنة على قوله.

ثالثا : موافقة الخبر لهوىً في نفس السامع كأن يرى فيه انتصارا لنفسه وتقليلا من قدر أخيه.

رابعا: ضيق صدره بما وهب الله تعالى أخاه، وحسدُه على ما آتاه من فضله وساقه على يديه، إما مالا أو عزا أو علما أو محبة في قلوب الناس وقَبولا وتقديرا، فلا يطوي جوانحه إلا على

أيا حاسدا لي على نعمتي

أتدري على من أسأتَ الأدبْ ؟

أسأت إلى الله في حُكمه

لأنك لم ترض لي ما وهبْ

فأخزاك ربي بأن زادني

وحجب عنك وجوه الطلبْ

غضب مكتوم رجاء زوال النعمة وتحقق الإخفاق والفشل، وما درى المسكين أن في هذا سوء أدب مع واهب النعم سبحانه الذي فاضل بين عباده في الأرزاق المادية والمعنوية.

فبدل أن تعترض على مولاك عز وجل، سله أن ينعم عليك كما أنعم على أخيك، وافْرَحْ بما آتاه الله وادع له بالبركة فإن من مقتضيات الأخوة الإيمانية أن تحب له ما تحب لنفسك.

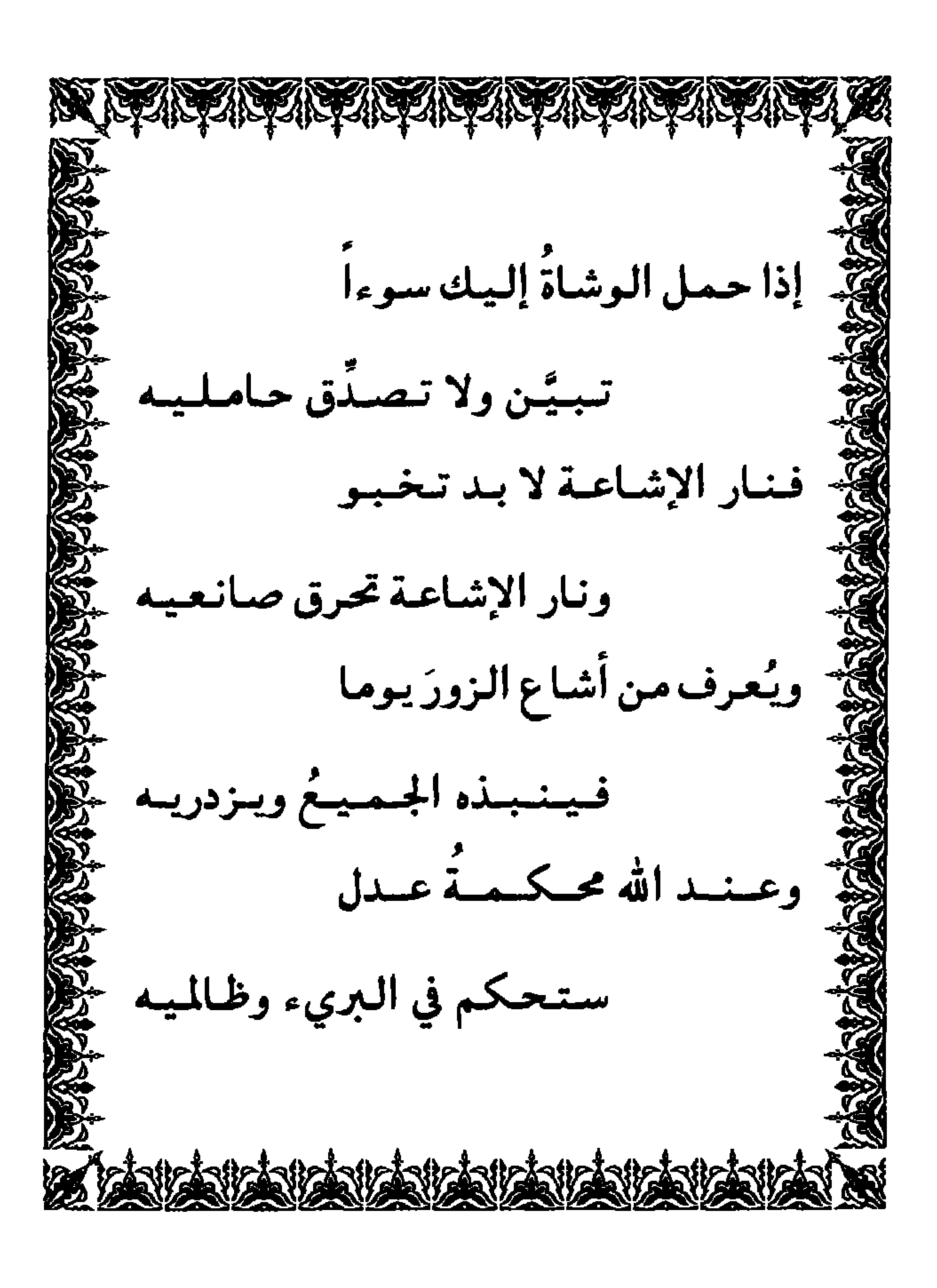
أما أنت يا أخي، يا من بُليتَ بحسد الحاسدين وأذى الناقمين وكيد الشّامتين وتثبيط*

* تثبيط : إِحْباط.

المثبّطين وتجاهل الحاقدين، فأشفق عليهم واجتهد في الدعاء لهم، واستعذ بالله من شرورهم كما تستعيذ به من شر الليل الغاسق*. احذر أن يجد التردد إلى نفسك سبيلا، بل شُقّ طريقك إلى هدفك وغايتك، تحمَّل وتجمَّل بالصبر فتلك ضريبة تميُّزك ونجاحك مُردِّداً :

فمن ساءه عزمي على السير إنني
إلى الله ماضٍ، فليَطُل همُّ حُسّادي

* الغاسق : الشديد السواد.



إذا حمل الوشاةُ إليك سوءاً

تبيَّن ولا تصدِّق حامليه

فنار الإشاعة لا بد تخبو

ونار الإشاعة تحرق صانعيه

ويُعرف من أشاع الزورَ يوما

فينبذه الجميعُ ويزدريه

وعند الله محكمةُ عدل

ستحكم في البريء وظالميه

سلامة الصدر سبيل النجاة

لقد اقتضت سنة الله تعالى في خلقه وناموسه في كونه أن لا تغيير يُرجى إلا بإصلاح النفس وتزكيتها وتهذيبها مصداقا لقوله سبحانه وهو خير القائلين :

﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ سورة الرعد ، الآية 12 .

وإذا ما كنت منكرا على نفسك قدرت على الإنكار على غيرك على حدّ تعبير الإمام الجيلاني الحنبلي رحمه الله .

أجل، إنه لا خلاص لنا يُرجى في الدنيا والأخرى إلا بصلاح النفس وتنقيتها من باطن الإثم وأدران الهوى. لا خلاص إلا بقلب سليم

من أدواء الغلّ والحسد والكراهية والبغض والحقد والأنانية والأثرة . قلبٍ صافٍ صفاء أفئدة الطير مُفعم بحبِّ الخيرللناس، كلِّ الناس . مرهَف مطمئن بذكر مولاه جل وعلا، عامر بالحب والإشفاق على خلقه .

قلب سليم زانه الحق تبارك وتعالى ورفع قدره علياً

﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾. سورة الشعراء، الآية 89

قلب سليم سمحٍ استحق صاحبه أن يكون أفضل الناس بشهادة خير الناس . سُئِل صلى الله عليه وسلم : أي الناس أفضل ؟

فأجاب : "كل مخموم* القلب صَدوق اللسان " ، فتساءل الجلساء الكرام رضي الله عنهم : صدوقُ اللسان نعرفه، فما مخموم القلب فقال صلى

---

* مخموم : من خممت البيت إذا كنسته .

الله عليه وسلم: "هو التقيُّ النقيُّ، لاإثم فيه ولابَغْيَ ولا غِلَّ ولا حسد". [55]

قلبٍ سليم الطوية حَسن السَّريرة نال من حبيب الله البشارة. عن أنس رضي الله عنه قال: كنا جلوسا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال:

"يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة".

فطلع رجل من الأنصار تنطُف لحيته من وَضوئه، وقد تعلّق نعليه بيده الشمال. فلما كان الغد قال مثل ذلك فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال صلى الله عليه وسلم مقالته أيضا، فطلع ذلك الرجل على مثل حالته الأولى.

تُرى، بم دخل الجنة؟ أبصلاة وصيام وتلاوة للقرآن وإكثار من ذكر الله تعالى وبذل وعطاء...لا، الأمر أعظم من ذلك. لنتابع مع راوي الحديث قال: فلما قام تبعه عبد الله بن عمرو بن العاص ـــ أي

---

55 - أخرجه الإمام ابن ماجة رحمه الله في سننه، كتاب الزهد، باب الورع والتقى، وأورده الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة رقم 948، وقال: صحيح.

تبع الرجل المبشَّر بالجنة – فقال له : إني لاحيتُ*
أبي فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثا، فإن رأيت
أن تؤويني إليك حتى تمضي فعلت. قال نعم. فكان
يحدث أنه بات معه تلك الليالي فلم يره يقوم من
الليل شيئا. انتظره ليقوم من الليل ليصلي فلم يقم،
أما صلاته نهارا فلا تزيد على الفرائض. غير أنه
إذا تعارَّ وتقلَّب على فراشه ذكر الله عز وجل وكبَّر
حتى صلاة الفجر، ولم يسمعه يقول إلا خيرا.
فلما مضت الثلاث الليالي وكاد يحتقر عمله قال :
يا عبد الله، لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا
هجرة، ولكني سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول لنا ثلاث مرات : "**يطلع عليكم رجل من
أهل الجنة**" فطلعت أنت الثلاث مرات، فأردت أن
آوي إليك فأنظر ما عملك فأقتدي بك، فلم أرك
عملت كثير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول
الله عليه وسلم؟ فأجاله الرجل بقوله : ما هو إلا

* لاحيتُ أبي : خَاصَمْتُهُ.

ما رأيت. سمع البشارة النبوية فحرص على معرفة السر، فلازم الرجل وأمضى عنده ثلاث ليال. قال: فلما وليت دعاني فقال: ما هو إلا ما رأيت، غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشا ولا حسدا على أحد على خير أعطاه الله إياه. فقال عبد الله : هذه التي بلغت بك، وهي التي لا نُطيق». [56]

ولئن كان هذا جزاء من صفا قلبه وبادر إلى العفو والصفح لمن أساء إليه فما عسى يكون جزاء من تصدق للناس بعرضه ؟ ذلكم هو الصحابي الجليل أبو ضمضم، فقد كان رضي الله يناجي ربه عز وجل كلما أصبح : "اللهم إنه لا مال لي أتصدق به على الناس، وقد تصدقت عليهم بعرضي. فمن شتمني أو قذفني فهو في حل ". [57] فاستحق بذلك من حبيبه ﷺ مباهاة وثناء وتتويجا وفخرا بقوله ﷺ :

56 – أخرجه الإمام أحمد رحمه الله في المسند

57 – رواه الإمام ابن السني رحمه الله

"أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم ؟ ".[58]

قال الإمام ابن القيم رحمه الله معلقا: "وفي هذا من سلامة الصدر وراحة القلب والتخلص من معاداة الخلق ما فيه ".[59] وإلى هذا المقصد النبيل أرشد المولى الكريم في سياق إخباره عن عباده الصالحين وإمائه :

﴿الذين يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾

سورة الحشر الآية: 10.

لذا يَحسُن بك – ونفسي أعني – أن تبذل قصارى جهدك ووسعك للتخلص من آفات وهَنات ومعاييب نفسك التي بين جنبيك.

أقبِل على النفس واستكمل فضائلها

فأنت بالنفس لا بالجسم إنسانُ

---

58 – أخرجه الإمام أبو داود رحمه الله في سننه، كتاب الأدب، باب ماجاء في الرجل يحل الرجل قد اغتابه.

59 – تهذيب مدارج السالكين 407

ولبلوغ المرام وتحقيق المراد لابد أن يسبق ذلك ويواكبه ويليه الوقوف الدائم بين يدي الله تعالى والعكوف على بابه والتَّمَسُّح بِجَنابه، تاليا لكتابه ومكثرا من ذكره والصلاة والسلام على خير خلقه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله ، صادق النية في التوجه إليه وطلب القرب منه والزلفى لديه، حريصا على صحبة الصالحين وأهل المروءات من عباده. صحبة من يشخِّص ويهديك عيبك ثم يعطيك الدواء بخُلقه و حاله قبل منطقه ومقاله عملا بتوجيه أصفى أصفيائه وإمام أوليائه :

"المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل". [60]

وقوله : **«المؤمن مرآة المؤمن، المؤمن أخو المؤمن، يكفُّ عليه ضيعته ويحوطه من وراءه».** [61]

---

60 – رواه الأئمة أحمد والترمذي وأبو داود رحمهم الله، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله في السلسلة الصحيحة (227).

61 – رواه الإمام أبو داود رحمه الله والإمام البخاري رحمه الله في الادب المفرد، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله .

وختاما ، أرجو أن تكون الغاية من رسالتي قد تحققت وقد استفرغت جهدي لاستكشاف بعض المفسدات التي تعكّر صفو الأخوة وتشوّش على أهلها ، وذلك قصد علاجها وتعزيز صرحها وصونها عن الخراب المحدق بها، راجيا أن تجد - أخي، أختي - بغيتك وضالتك فأحظى منك بدعاء وتقويم ونصح ونقد بنّاءٍ، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل .

اللهم صلّ على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم ، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم في العالمين إنك حميد

مجيد . سبحان ربك ربِّ العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

تم بحمد الله وحسن توفيقه ظهر الخميس الحادي عشر من رمضان الأبرك لسنة 1429 برحاب بيت الله الحرام.

المراجع المعتمدة :

- في ظلال القرآن :
سيد قطب رحمه الله

- النقد الذاتي :
ذ . علال الفاسي رحمه الله

- تنوير المؤمنات (الجزء الثاني) :
ذ .عبد السلام ياسين

- نحو منهج شرعي لتلقي الأخبار وروايتها :
د. أحمد بن عبد الرحمن الصويان .

صدر للمؤلف :

- كتاب : طريق الوصول إلى حب الرسول صلى الله عليه وسلم
- كتاب : سمر في بيت النبوة
- كتاب : فن التواصل مع الناس
- إضافة إلى تسجيلات سمعية بصرية :
  - سلسلة الأسرة السعيدة
  - سلسلة مجالس إيمانية مع الحِكم العطائية

الفهرس

للتواصل مع المؤلف :

الموقع على شبكة الإنترنيت :

www.hassanraquiq.ma

البريد الإلكتروني :

hassanraquiq@hotmail.com

الهاتف المحمول :

(212+) 64202316

قريبا !

سلسلة «في رحاب الأسرة»

رسائل تُعنى بالحياة الزوجية وتربية الأبناء ومهارات

التواصل مع الشاب والمراهق

تم الطبع بمطابع أفريقيا الشرق 2009
159 مكرر ، شارع يعقوب المنصور ، الدار البيضاء
الهاتف : 04 95 25 022 / 13 98 25 022
الفاكس : 20 29 25 022 / 80 00 44 022
مكتب التصفيف الفني : 54 / 53 67 29 022
الدار البيضاء

كيف تحافظ على علاقاتك الأخوية

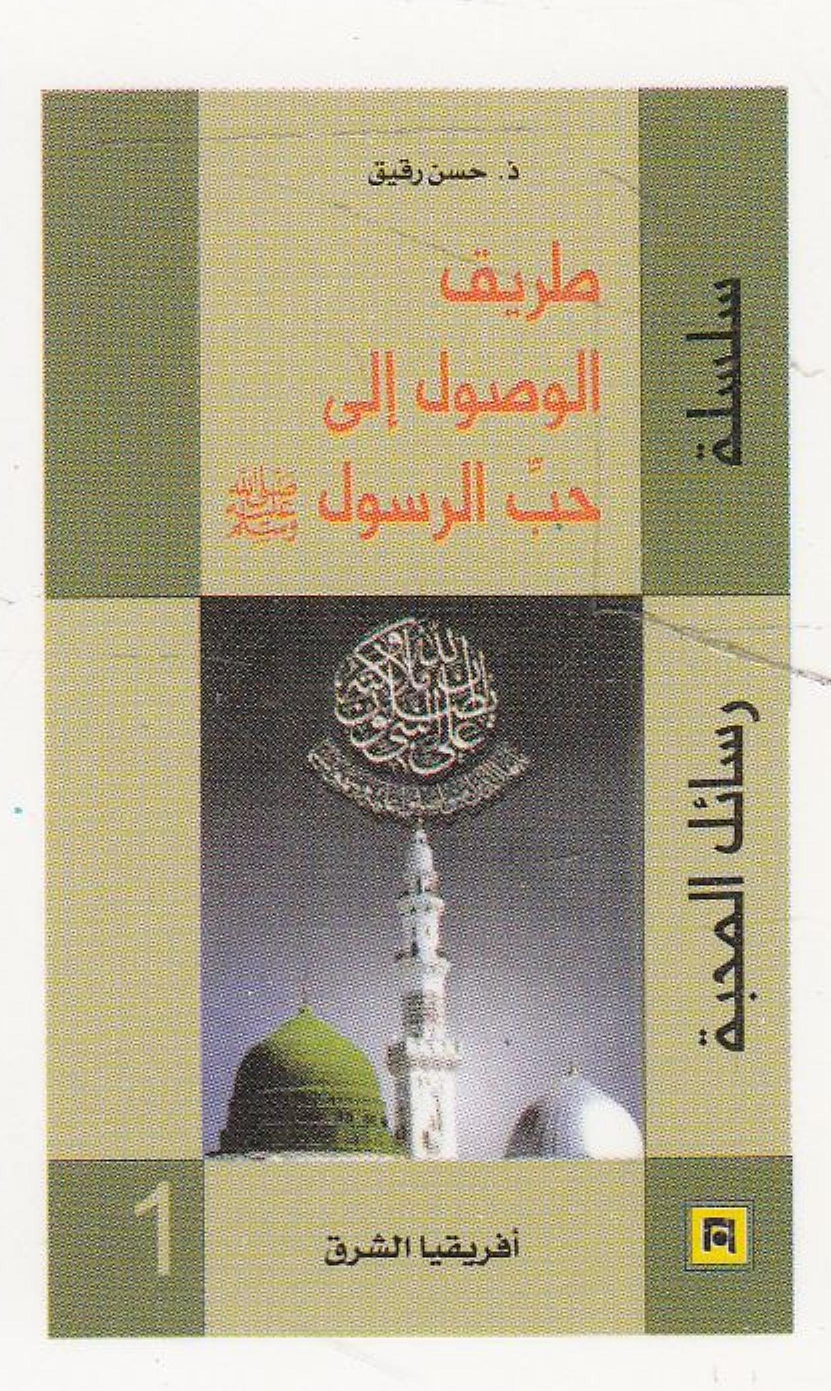
... رسالةٌ نصارح من خلالها أنفسنا بأخطائنا تجاه من سكنَ حبُّهم قلوبَنا .

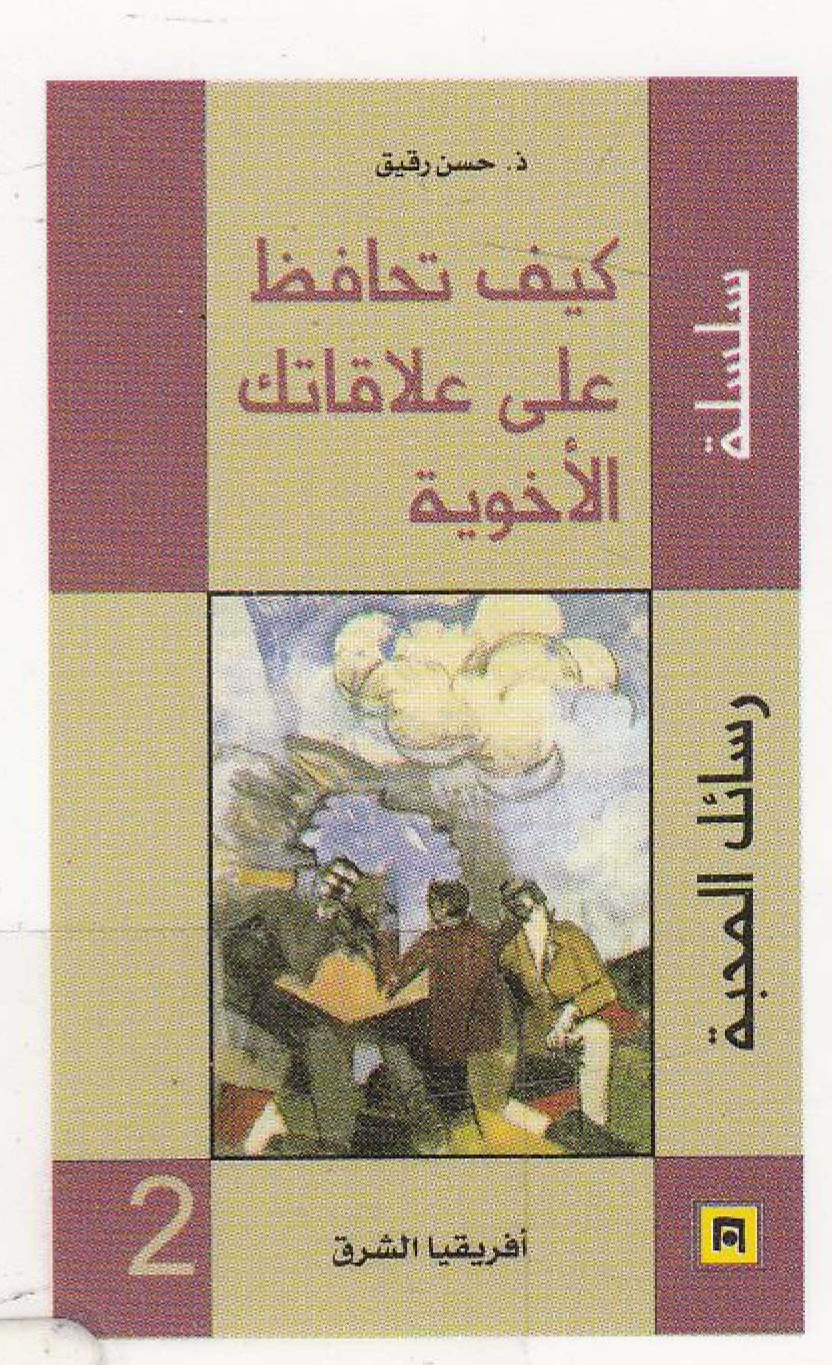
رسالةٌ نستكشف من بين ثنايا صفحاتها ما قد يسري بيننا من مفسدات

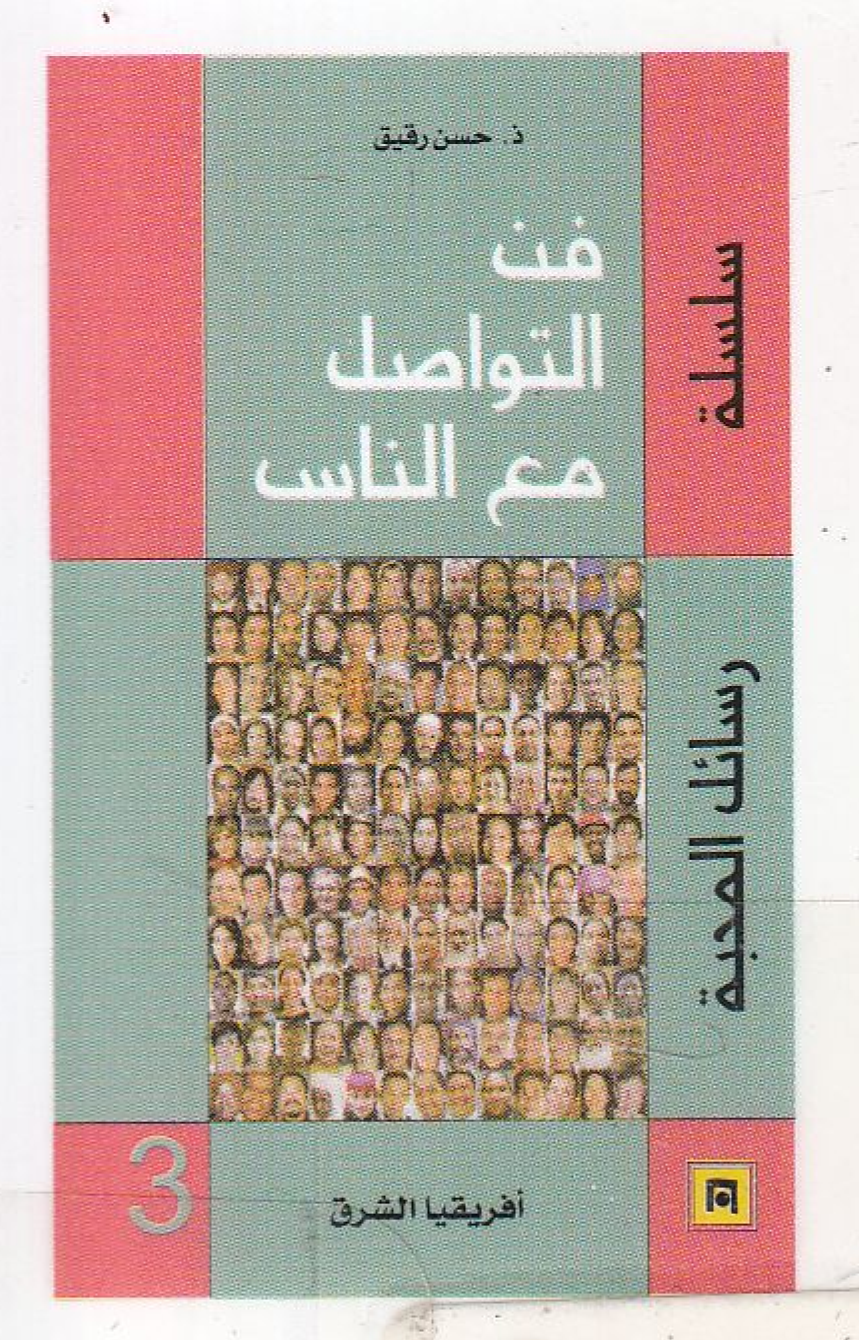
رغبة في علاجها وتعزيزا لصرحها وصونا لها من الخراب المُحدِق بها .

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل ...

www.hassanraquiq.ma









ذ حسن رقيق

- من مواليد 1963 بالبيض...
- استشاري اجتماعي في ...
- باحث وممارس في فن ال...

ISBN 9981-25-645-5



Roger de la Fresnaye,
La Conquête de l'air, XXᵉ siècle. Troyes,
musée d'Art modene.